

لجنة نشر المؤلفات النبوية

الأشعار النبوية

بقلم
العلامة المحقق المفسر
أحمد محمود باب

وهي البحوث التاريخية النفيسة التي جرت قننا
الفقيه الكريم واختتم بها حياة الطيبة المباركة

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي

١٩٥١

الطبعة الأولى { شوال سنة ١٣٧٠
يوليه سنة ١٩٥١
حقوق الطبع محفوظة للجنة



العلامة المحقق المرحوم احمد تيمور باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة اللجنة

دأبت « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » على البحث عن شتى المؤلفات الخطية وغير الخطية من آثار المغفور له العلامة المحقق « أحمد تيمور باشا » توطئة لتقرير ما تراه بشأن طبعها

وقد اجتمعت كلمة اللجنة برئاسة سعادة الشيخ المحترم العالم « خليل ثابت بك » - والبلاد مقبلة على موسم الحج والزيارة - على أن تقدم للطبع كتاب « الآثار النبوية الشريفة » على سائر ما لدى اللجنة من المؤلفات التيمورية الكثيرة المشار إليها .

وقد بادرت إدارة اللجنة إلى تنفيذ هذه الرغبة الكريمة في طبع هذا الكتاب ونشره . وهو ولا شك كتاب فريد في أسلوبه ، حافل ببحوث شتى في آثار الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلامه .

وبهذه المناسبة نذكر أن الفقيه العلامة « أحمد تيمور باشا » نشر في حياته جانباً من هذه البحوث النفيسة في « مجلة الهداية الإسلامية » وتولى بنفسه بعد ذلك إدخال بعض الإصلاحات على النسخة المطبوعة ،

وزاد في تعليقاته في بعض المواضع ، وأضاف إلى ما كتب من قبل جديداً من بحثه واطلاعه .

وقد راجعت اللجنة تصحيحات الفقيه لأصول البحوث ، وأضافت إليها ما عثرت عليه من تعليقاته وملاحظاته التي كانت مبعثرة هنا وهناك من تراثه النفيس الذي تسامته اللجنة ، حتى استكمل هذا المؤلف شتى جزئياته وكتيباته ، وبدا اليوم كاملاً شاملاً رائعاً سهل العبارة غزير المادة ، شأن جميع المؤلفات التيمورية التي عنيت اللجنة بنشرها تبعاً ، فلقيت من جمهور القراء في مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية تقديراً وإقبالاً ، مما شجّعها على مواصلة جهادها في سبيل خدمة العلم ونشر الثقافة العامة في مصر وشتى أنحاء العالم العربي .

ومما هو جدير بالذكر ، أن هذا المؤلف هو آخر البحوث النفيسة التي اختتم بها الفقيه العظيم حياته الطيبة المباركة ، تقرباً إلى الله ، وإعلاء لشأن الدين ، وخدمة للعلم والتاريخ . وقد بلغ الفقيه غايته ، وأدّى رسالته ؛ رحمه الله وأجزل مشوبته .

مفهوم

لم أقصد يبحثي هذا سرد ما دُوّن عن الآثار الشريفة التي اختصّ بها محمد صلى الله عليه وسلم في حياته ، وخلفها بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من سلاح ومراكب وثياب وآلات وغيرها ، فإن في كتب السيرة من بيان ذلك ما يغني عن التحدث به إلى القراء ، وإنما قصدت أن أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها وزائفها ، لأبين ما حققه العلماء عنها . وسأبدأ بالقضيب والبردة لاشتهارهما في الخلافة العباسية . والله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدي حيث قال فيما صح من هذه الآثار :

أكرم بآثار النبي محمد من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فالنظري وتمتعى إن لم تريه فهذه آثاره
واقتهى به جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقي فقال :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشطّ مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

القضيب والبردة

أثران نبويان كانا منشارات الخلافة في الدولة العباسية ، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية في دول المغرب ، والمظلة في الدولة الفاطمية على ما يقول « ابن خلدون »^(١) . غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة أثرية كالشارة العباسية ، ولا سيما في شرف النسبة إلى المقام النبوي الكريم ، وإنما كانت آلات محدثة في تلك الدول ، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع .

أما القضيب فالمرورى في كتب السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له قضيب من شوَحَطٍ يسمى المشوق ، قيل : وهو الذي كان الخلفاء يتداولونه . قال الإمام الماوردي في الأحكام السلطانية : « وأما القضيب فهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي صدقة ، وقد صار مع البردة من شعار الخلافة » . وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة في المواكب^(٢) ، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم في المواكب

(١) المراد هنا بالخاتم حلية الإصبع المعروفة ، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بفضوص الجواهر واليواقيت ويلبسه السلطان شارة في عرفهم . أما المظلة فلم ينفرد بها الفاطميون ، بل كان يشاركون فيها ملوك الدول الأعجمية بالمشرق كبنى سلجوق وغيرهم تقليداً لملوك الصين ، وإنما اشتهر الفاطميون بمظلتهم لأنها كانت أبداع المظلات وأكثرها زخرفاً وترصيعاً .

(٢) كان من آلات المواكب في الخلافة الفاطمية بمصر قضيب سماه صاحب صبح الأعشى بقضيب الملك وقال إنه « عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر =

جلوساً وركوباً . قال ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية : « كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه ويأخذ القضيبة المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم في إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهز الأبصار » اه . وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة ، فإذا كان غائباً بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذي يبردونه . وما زالت الشعراء تذكرهما في مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض دولتهم من العراق تنويهاً بانفرادهم عن سائر الدول بهذه المنقبة ، كقول البحترى من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلاة والخطبة يوم عيد الفطر :

أُيِّدَتْ من فصل الخطاب بحكمة تُنْبِئُ عن الحق المبين وتخبّر
وَوَقَّفت في بُرد النبي مذكراً بالله تُنذِرُ تارةً وتُبشِّرُ
حتى لُقِد علم الجهول وأخلصت نفس المرؤى واهتدى المتحير^(١)

والجوهر يكون بيد الخليفة في المواكب العظام » انتهى . وكأنهم أرادوا به محاكاة إشارة العباسيين ، وشتان ما بين التكحل والكحل .

(١) هذه القصيدة من أجود شعر البحترى ولكن قضى عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون لكتابهم مجانى الأدب (ج ٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فيغروا فيها ما شاء لهم الهوى أن يغيروه ، فإنهم لما ذكروا قوله في وصف احتشاد الناس والجند وخروج الخليفة عليهم في ذهابه إلى المصلى :

فالحيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلعب والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميم بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس مانعة توقد بالضحي طوراً ويطفئها العجاج الأكر
حتى طلعت بضوء وجهك فأنجلت تلك الدجى وأنجاب ذلك العشير
واقفن فيك الناظرون فإصبع يوحى إليك بها وعين تنظر =

وقوله من أخرى فيه :

وعليك من سيما النبي في مخايل شهدت برشدك
تبدو عليك إذا اشتما ت ببرة من فوق بردك
وقوله من أخرى أيضاً :

وغدوت في برد النبي وهديه تخشى لحكم قاصد وتؤمل
وقوله فيه أيضاً — وقد ذكر آثاراً أخرى كانت عند الخلفاء سننهم
الكلام عليها : —

يتولى النبي ما تتولا ه ويرضى من سيرة ما تسير
حزت ميرائه بحق مبين كل حق سواء إفك وزور
فلك السيف والعمامة والخا تم والبرد والعصا والسرير
يريد بالعصا : القضيبي وقوله فيه أيضاً :

عليك ثياب المصطفى ووقاره وأنت به أولى إذا حصحص الأمر
عمامته وسيفه ورداؤه وسيما والهدى المشاكل والنجر
وقال من قصيدة يمدح بها المعتز بن المتوكل ، ويهجو المستعين بعد خلعه :
ولم يكن المعتز بالله إذ سرى ليُعجزَ والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيبي عنوة وهو صاغر وعُرى من برد النبي مناكبه

= يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا
عز عليهم أن يذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ويذكر معه خليفته وابن عمه
فعلوا صدر هذا البيت (ذكروا بطلعتك الرشيد فهللوا) ولما وصلوا إلى بيت البردة
جعلوه (ووقفت في برد الخطيب مذكراً) فليتبني لذلك ، فإن كثيرين من النشء يتقنون
بكتبتهم ، فيقعون فيما حرفوه وبدلوه .

وذكر ابن خلكان في وفياته عن ميمون بن هرون أنه قال : رأيت
أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ وحاله متماسكة
فسأله فقال : كنت من جلساء المستعين فقصدته الشعراء فقال : لست
أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى في المتوكل :

فلو أنَّ مشتاقًا تكلفَ فوقَ ما في وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ المنبر
فرجعتُ إلى دارى وأتيتهُ ، وقلت له : قد قلت فيك أحسن مما قاله
البحترى في المتوكل فقال : هاته ! فأنشدته :

ولو ان برد المصطفى إذ لبسته يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيتهُ ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما أمرك به ، فرجعت فبعثت إلى
بسبعة آلاف دينار وقال : ادخر هذه للحوادث من بعدى ، ولك على
الجرأية الكفاية ما دمت حيًّا اه^(١).

ومن ذلك قول الأبيوردى من قصيدة في المقتدى بالله :

إلى المقتدى بالله والمقتدى به طوين بنا طيَّ الرِّداء الفياقيا
وَلذنا بِأطرافِ القوافي وَحسبنا من الفخر أن نهدى إليه القوافيا
وَلم تكلف نظمهن لأننا وَجدنا المعالي فاخترعنا المعانيا
أيا وارث البرد المعظم ربّه بلغنا المني حتى اقتسمنا التهانيا

(١) أورد عبد الرحيم العباسي البيتين والقصة ببعض اختصار في نوع الغلو من معاهد
التنصيص ، ومثله في قوات الوفيات لابن شاعر .

وقوله من قصيدة في المستظهر بن المقتدى :

وَعَلِيهِ مِنْ سِيَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ نُورٌ يُجِيرُهُ عَلَى الدَّجَى مَرْمُوقٌ
وَالْبَرْدَ يَعْلَمُ أَنْ فِي أَثْنَاءِهِ كَرَمًا يَفُوقُ الْمِزْنَ وَهُوَ دَفُوقٌ
أَفْضَتْ إِلَيْهِ خِلَافَةَ نَبِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا لِلْمَشْرِفَى بَرِيقٌ

وقول الأرجاني من قصيدة في المسترشد بن المستظهر :

وَرَثْتَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهُ الْبَرْدُ مِنْ تَقَى وَمَنْ كَرَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْتِ الْبَرْدَا
وَوَلَيْتَ مِنْ أَمْرِ^(١) الْقَضِيبِ شَبِيهَ مَا تَوَلَّاهُ مِنْ كَانَ الْمَشِيرَ بِهِ مَجْدَا
وَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرٌ أَمَّتَهُ الَّذِي إِلَيْكَ أَنْتَهَى إِذْ كُنْتَ مِنْ بَيْنِهَا فَرْدَا
وقوله من أخرى فيه :

يَا وَارِثَ الْبَرْدِ الْمَجْرَّرِ ذَيْلَهُ فِي لَيْلَةِ الْمَعْرَاجِ فَوْقَ الْفِرْقَدِ
وَمَعْوَدًا يَدَهُ التَّخَصُّرَ بِالَّذِي أَمْسَى بِهِ ظَهَرَ الْبَرَّاقِ وَقَدْ حُدَى
سَلْبًا هَدَى عِبْقَ النَّبُوءَةِ فِيهِمَا مِنْ كَفِّ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ^(٢)

وقول سبط ابن التعاويذي من قصيدة في المستضيء بن المستنجد :

إِنْ يَدَ الْمُسْتَضِيءِ أَسْمَحَ بِالْإِءَاءِ - طَاءَ يَوْمَ النَّدَى مِنَ الدَّيْمِ
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَارِثَ الْبَرْدِ وَالْخَا - تَمَّ وَالسَّيْفِ مَالِكِ الْأُمَمِ
مَعِيدَ شَمْلِ الْإِسْلَامِ مَلْتَمًا - وَكَانَ لَوْلَاهُ غَيْرَ مَلْتَمٍ^(٣)

(١) كذا في نسخة مخطوطة عتيقة عندنا من ديوانه . والذي في المطبوعة (ملك)

(٢) عولنا فيها على ما في النسخة العتيقة لأنها أصح من المطبوعة .

(٣) يشير بذلك إلى زوال الدولة الفاطمية في زمن المستضيء ، وإعادة الخطبة لبني العباس

بمصر والشام والحجاز واليمن وبرقة .

وقوله من أخرى فيه :

آل النبوة بردها وقضيتها لكم ومنبرها معاً وحسامها
أبناء عم المصطفى الهادي وخير ر عصابة وطيء الثرى أقدامها
وقوله من أخرى في الناصر بن المستضيء لما بويع بالخلافة :

ورأينا برد النبي على منك ب طود من الأئمة راسي
مالتاً هديه الموافق من نو ر جلال يضىء كالنبراس
وقوله من أخرى :

ورث النبوة منبراً وخلافة وتقيّة^(١) فعليه منها ميسم
فامنكب ولعائق وخنصر منه ثلاث قدرهن معظم
برد وسيف لا يقل وخاتم فجلبب ومقلد ومختم
وقوله من أخرى فيه :

له خاتم المبعوث أحمد خاتم الذ بوة موروثاً مع السيف والبرد^(٢)
وما برحت طير الخلافة حوماً عليه كما حام الظماء على الورد

صفة البردة

في الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلًا عن ابن الأثير
أن بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخلفاء يلبسونها في المواكب
كانت شملة مخططة . وقيل : كانت كساء أسود مربعا فيها صغراه .

(١) كذا في نسختين من ديوانه إحداها مخطوطة .

(٢) أى له الخاتم موروثاً مع السيف والبرد من النبي المبعوث خاتم الأنبياء
عليه الصلاة والسلام .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى : « أخرج الإمام أحمد فى الزهد عن عروة . ابن الزبير رضى الله عنه أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمى طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تلبس يوم الأضحى والفطر » اه .

اختلافهم فيها

لا خلاف بين المؤرخين فى كون البردة العباسية أثراً نبوياً صحيحاً ، ولكن لما كان الخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم بردتين . اختلفوا فى التى صارت منهما لبني العباس . قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية : « وأما البردة فقد اختلف الناس فيها ، فحكى أبان ابن ثعلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية رضى الله عنه ، وهى التى يلبسها الخلفاء . وحكى ضمرة ابن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها أهل أيلة أماناً لهم ، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبى أوفى ، وكان حاملاً عليهم من قبل مروان بن محمد ، فبعث بها إليه وكانت فى خزائنه حتى أخذت بعد قتله . وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثمائة دينار » اه . وقد حكى هذا الخلاف فى صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطى وأخبار الدول للقرمانى وحاشية البغدادى على شرح ابن هشام على بانة سعاد . وتفصيل هذا الإجمال فى رأى الأول : أن كعب بن زهير بن أبى سلمى . رضى الله عنه لما بلغه إسلام أخيه بجَيْرٍ غضب وبعث إليه بأبيات يلومه .

فيها على إسلامه ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه . ثم هداه الله إلى الإسلام فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم تائباً مسلماً وأنشده قصيدته بانث سعاد المشهورة ، فلما وصل إلى قوله : إن الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به مهتدٌ من سيوفِ الله مسلول رمى صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه ^(١) ، فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه أراد شراءها من كعب بعشرة آلاف درهم ، فأرسل إليه يقول : ما كنت أوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً . فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم . قالوا : وهي التي عند الخلفاء العباسيين . وهو قول عز الدين بن الأثير في كتابيه : الكامل وأسد الغابة ، والخوارزمي في مفاتيح العلوم ، وابن هشام في شرح بانث سعاد ، وأبي الفداء سلطان حمارة في تاريخه ، وابن حجر في الإصابة ، ومؤرخين غيرهم كثيرين .

ولم يذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية غير الرأي الثاني فقال : « قال الحافظ البيهقي : وأما البردة التي عند الخلفاء فقد روينا عن محمد ابن إسحاق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أما نأ لهم ، فاشترها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار ، يعني بذلك أول خلفاء بني العباس ، وهو

(١) قال البغدادي في حاشيته على شرح ابن هشام على بانث سعاد : « ولهذا تسمت هذه القصيدة قصيدة البردة . وقد سمي الناس قصيدة البوصيري بقصيدة البردة تشبيهاً بها للتبرك ، والصواب تسميتها بالبردة بالهمز لبرء ناظمها من الفالنج » .

السفاح رحمه الله تعالى . وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف « وهو قول الذهبي أيضاً على ما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ونص عبارته : « وأما الذهبي فقال في تاريخه : أما البردة التي عند الخلفاء آل عباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحق في قصة غزوة تبوك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار » . قال السيوطي : فكان التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية . وقال القرمانى : وقيل كُفِنَ فيها معاوية . وذكر ياقوت هذه البردة في معجم البلدان ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء فقال في كلامه على أيلة : « ويقال إن بها برد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان وهبه لِيَحْتَنَ بن رُوْبَةَ^(١) لما سار إليه إلى تبوك » . وكذلك فعل المقرئ في خططه والجزيري في درر الفرائد المنظمة في ذكرهما أيلة فإنهما لم يتعرضا لخبر انتقال هذه البردة إلى الخلفاء . وخلاصة ما ذكرناه أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم الذي وجه به إليهم أماناً لهم ، وأنهم يظرونه رداءً عدنياً ملفوفاً في الثياب ، وقد أبرز منه مقدار شبر لثلاثاً تدنسه الأيدي .

والخلاصة : أن البردة العباسية إما أن تكون بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلاثمائة دينار ، أو إلى أن انتزعها منهم حامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه ، ثم صارت من بعده

(١) يحتن بضم الياء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء وهو صاحب أيلة ، ورؤية بالياء الموحدة .

للعباسيين . وإما أن تكون البردة الكعبية التي اشتراها معاوية رضي الله عنه ، ثم حفظت عند بني أمية حتى ورثها منهم العباسيون . وأكثر المؤرخين على هذا الرأي . وقد فصل المسعودي في مروج الذهب خبر مصير البردة والقضيب إلى بني العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين ، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد من العباسيين إلى مصر ، وأنهم لحقوه بها ، وقد نزل بوصير فهجموا عليه وقتلوه ، ثم رأوا خادماً له شاهراً سيفه يحاول الدخول إلى بناته ، فأخذوه وسألوه عن أمره ، فقال : أمرني مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه ، فلا تقتلوني فإنكم والله إن قتلتموني ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له : انظر ما تقول ، قال : إن كذبت فاقتلوني ، هلموا فاتبعوني . ففعلوا فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال : اكشفوا هنا فكشفوا فإذا البرد والقضيب ومخضرة^(١) قد دفنها مروان لثلاث تصل إلى بني هاشم ، فوجه بها عامر بن إسماعيل إلى عبد الله بن علي ، فوجه بها عبد الله إلى أبي العباس السفاح ، فتداولت ذلك خلفاء بني العباس .

مصير البردة والقضيب

ذكر ابن الزيات في الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبراً اشتهر بأنه قبر صاحب البردة ، واستطرد في الكلام عليه لذكر البردة النبوية فقال : « قال ابن عثمان هو صاحب

(١) في النسختين الباريسية والبولاقية من مروج الذهب (ومخضرة) بغير تاء .

البردة يعنى بردة النبي صلى الله عليه ، وسلم وذلك غير صحيح ، قال المؤلف :
وبردة النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا في آثار النبي صلى الله عليه وسلم
التي دخلوا بها إلى مصر أن فيها بردة غير البردة التي في أيدي بني العباس ،
وهي موجودة عندهم إلى الآن ، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر
من الصحابة ممن له بردة من اسمه صاحب البردة . وآثار النبي صلى الله
عليه وسلم مثبتة عند العلماء ، ويحتمل أن تكون هذه البردة بردة رجل
من الصالحين » اه . وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم ، فإن وفاة
ابن الزيات كانت سنة ٨١٤ ، وقوله عن البردة : « وهي موجودة عندهم
إلى الآن » يفيد بقاءها بأيديهم إلى عصره ، والصحيح أنها فقدت قبل
ذلك بقرن ونيف . ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة
في زمنه عند الخلفاء ، وسها عن التنبيه عليه .

وقال المسعودي بعد عبارته المتقدمة في مصير البردة والقضيبي
إلى العباسيين ما نصه : « فتداولت ذلك خلفاء بني العباس إلى أيام المقتدر ،
فيقال : إن البرد كان عليه يوم مقتله ، ولست أدري أكل ذلك باق مع
المتقي لله إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في نزوله الرقة
أم قد ضيع ذلك » . وفي صبح الأعشى : « وكان القضيبي والبردة المتقدما
الذكر عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر
السلجوقي^(١) من المسترشد بالله ثم أعادهما إلى المتقي عند ولايته سنة خمس

(١) سنجر بن ملكشاه السلجوقي سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر .
ولد سنة ٤٧٩ هـ وتوفي سنة ٥٥٢ هـ بمرور ودفن بها وهو بكسر السين وسكون النون وفتح =

وثلاثين وخمسة . والذي يظهر أنهما بقيا^(١) عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما .
وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي عن البردة : « وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار . فإن الله وإنا إليه راجعون »
وفي خزائن الأدب للبغدادي عن كعب بن زهير : « فأمنه النبي صلى الله عليه وسلم وأجازه بردته الشريفة التي بيعت بالثمن الجزيل ، حتى بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم^(٢) ، وبقيت في خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول^(٣) وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال »
قلت : والذي يؤيد بقاء البردة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مدائح الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضيء وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن الساعي أنه حضر مبايعة الخليفة

الجيم . وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجان فسماه والده بذلك أخذاً من اسم المدينة . والسلجوقي بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ، نسبة لجدّه الأعلى سلجوق بن دقاق (بضم الدال المهملة وبين القافين ألف وقد يقال تقاف بالتاء) .
(١) في الأصل (أنها بقيت) .

(٢) المعروف أن الذي اشترى البردة الكعبية معاوية رضي الله عنه ، والذي اشترى البردة الأيلية أبو العباس السفاح في قول كما تقدم ، فذكر البغدادي المنصور سهو منه . والله أعلم .

(٣) المغول بضمّتين قوم هلاكو ، وقد يقال المنغل بلا واو . وهم من القبائل التورانية وبعدهم بعض المؤرخين من التتار ، والأكثر على أنهما جنسان متقاربان ، وإنما غلب التعبير عنهم بالتتار في التواريخ العربية لأنهم استخدموا في غزوهم بلاد الإسلام كثيراً من التتار في جيوشهم .

الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرآه بثياب بيض والبردة النبوية على كتفه ، وكانت خلافته سنة ٦٤٢ في أواخر أيام دولتهم ببغداد ، ولم يكن بعده غير خليفتيه المستنصر والمستعصم ، ثم كانت كائنة التتار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر . وقد صرح القرماني في موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البردة والقضيب ، فذكر أن هلاكو^(١) لما طرق بجيوشه بغداد سنة ٦٥٦ أشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمي على الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته ، فخرج إليه في جمع من العلماء والأعيان ، والبردة النبوية على كتفيه والقضيب بيده ، فأخذها منه هلاكو وجعلها في طبق من نحاس وأحرقهما وذر رمادهما في دجلة ، وقال : ما أحرقتهما استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيراً لهما . اهـ . ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه فقتلوا ، ووضع الخليفة وولده في جوارقين وضربا بالأرازيب ومداق الجص حتى ماتا . وفي هذه الكائنة التي لم ينسكب الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون : ونزل هلاكو ببغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي فلستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم ، فخرج المستعصم

(١) هلاكو بضم الهاء وتخفيف اللام وضم الكاف وقد يقال هولاكو بواو بعد الهاء : أول الملوك الأيلخانية بفارس . وهو ابن تولى خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوقا آن ملك المغول إلى فارس ففتحها وتولى أمرها ثم استولى على العراق وكان منه ما كان إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما في التواريخ التركية وتاريخ ابن الفرات . والذي في المنهل الصافي سنة ٦٦٤ . وقال ابن خلدون سنة ٦٦٣ .

ومعه الفقهاء والأعيان ، فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ، ثم قتل المستعصم شديداً بالعمد ووطأ بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين ، وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العبت بها أياماً ، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعين ويقال إن الذي أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف^(١) . واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعد ، وألقيت كتب العلم التي كانت مخزائهم جميعاً في دجلة ، وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح في كتب الفرس وعلومهم « اه كلام ابن خلدون .

(تنبيه) روى القرمانى في أخبار الدول خبر البردة الكعبية وبقائها عند بنى العباس إلى أن أحرقتها هلاكاً مع القضيبي كما مر ، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التي كانت عندهم بردة أيلة لا بردة كعب ، وأعقب هذا القول بقوله : « وأظن أنها البردة التي وصلت لسلطين آل عثمان ، فهي اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله ، واتخذها المرحوم السلطان مراد خان تعمده الله بالرحمة والعفوان صندوقاً

(١) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة في كلامه على دولة بنى هلاكو فقال : إن عدد القتلى كان « ألف ألف وثلاثمائة ألف » . والذي يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم في هذه الواقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة . فإذا ضمنا إليهم قتلى الجيش المجموع من المملكة العراقية اندى أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتلى الصبيان غير البالغين الذين داستهم سنايك الخيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التي صدرها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب .

من ذهب زنته ^(١) مثقال فوضعها فيه تعظيماً لها . اهـ . ولا يخفى أن
بنى العباس لم يكن عندهم غير بردة واحدة أحرقتها هلاكاً سواء كانت بردة
كعب أو بردة أيلة . والذي ظنه المؤلف لا يتجه إلا بتقدير جمعهم بين
البردتين وانتقال الأيلية إلى بنى عثمان بعد إحراق هلاكاً للكعبية ، وهو
شئ لم يقل به ولم ينقله فيما نقله من الأقوال حتى يصح له بناء ظنه عليه .
وسياتى الكلام على ما كان عند بنى عثمان من الآثار في فصل خاص .

(١) يياض بمقدار كلمة في النسخ الثلاث التي عندنا من هذا التاريخ .

المنبر والسريـر والخاتم والعمامة والسيف

تقدم في مدائح الشعراء للخلفاء العباسيين ذكر آثار نبوية كانت في حيازتهم غير القضيـب والبردة، وهي المنبر والسريـر والخاتم والعمامة والسيف . وإلى القراء الكرام ما وقفنا عليه وما ظهر لنا فيها :

أما المنبر : فالثابت المحقق أن منبره صلى الله عليه وسلم الذي كان يخطب عليه لم ينقل من مسجده، وإنما كان معاوية رضي الله عنه أراد نقله إلى الشام، وكتب بذلك إلى مروان بن الحكم عامله بالمدينة، فاما اقتلعه كثر لفظ الناس فحشى الفتنة وزاد فيه درجاً ورده، وقال : إنما اقتلعت لأزيد فيه . فبقى في مكانه حتى احترق باحتراق المسجد سنة ٦٥٤ . فلما أراد أن بنى العباس ورثوه وهو في مكانه لأنه نقل إليهم بالعراق كغيره من الآثار التي نقلت إليهم . وقد كان لاحتراق هذا الأثر النبوي وقع أليم في نفوس المساميين ولا سيما عند ساكني المدينة وزائريها لما فاتهم من لمس رمايته التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده المباركة عليها ولمس موضع قدميه الشريفتين .

وأما السريـر : فلم يكن له صلى الله عليه وسلم سريـر كالذي للملوك يجلس عليه للحكم فيكون من بعده للخلفاء، وإنما كان له سريـر ينام عليه قوائمه من ساج بعث به إليه أسعد بن زرارة . وفي سيرة ابن سيد الناس أن الناس من بعده كانوا يحملون عليه موتاهم تبركاً به . وقال البرهان

الحلبي في حاشيته على هذه السيرة^(١): « قوله وكان له سرير ينام عليه ، قال السهيلي في أول النصف الثاني من روضه^(٢): وكان سريره صلى الله عليه وسلم خشبات مشدودة بالليف بيعت في زمن بنى أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . قاله ابن قتيبة . اه . فيحتمل أن السرير المذكور هنا غير ما ذكره المؤلف ، وذلك لأن المؤلف قال فيه هنا : فكان الناس يحملون عليه موتاهم تبركاً . ويحتمل أنه هو ، وهو الظاهر ، والله أعلم . اه . قلت : وهو منقطع الخبر بعد ذلك في التاريخ ، ولم أقف فيه على غير ما ذكرت ، فليحقق أمره .

وأما الخاتم : فإن الذي كان يلبسه صلى الله عليه وسلم ويختم به كتبه إلى الملوك ونقش عليه (محمد رسول الله) كان من بعده عند الصديق ثم عند الفاروق رضى الله عنهما ، فلما كانت خلافة ذى النورين عثمان رضى الله عنه سقط من يده في بئر أريس بالمدينة والتمسوه فلم يجدوه فاغتم لذلك غمًا شديدًا وتطير منه واتخذ له خاتمًا على مثاله نقش عليه « محمد رسول الله » فكان يختم أو يتختم به ، ثم اتخذ الخلفاء من بعده خواتيم لكل

(١) اسمها عيون الأثر في فنون المنازى والسير للحافظ محمد بن محمد اليعمرى الشهير بابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ . وهى من أجود ما كتب في السيرة النبوية ، واختصرها مؤلفها في جزء صغير سماه نور العيون في سيرة الأئمة المأمون . وعلى الأصل حاشية اسمها البراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين إبراهيم الحلبي الشهير بالبرهان الحلبي وبسبط ابن العجمى المتوفى سنة ٨٤١ .

(٢) هو الروض الأنف للإمام العلامة عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ وهو شرح على السيرة النبوية لابن هشام ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٣٣ في جزءين .

خاتم نقش يخصه إلى انقراض الخلافة من بغداد على ما أجمع عليه المؤرخون .
غير أن المحكي في كتب السيرة من اختلاف الروايات في صفة الخاتم حمل
ابن سيد الناس على أن يقول في سيرته باحتمال أن تكون خواتم متعددة .
قلت : وعلى هذا فيحتمل أن يكون أحدها وصل إلى بني العباس ففظوه
تبركاً به وتشرفاً ، وإن كان لكل خليفة منهم خاتم يحتم به ، عليه
نقش يخصه .

وأما العمامة : فهي المسماة بالسحاب ، وكان صلى الله عليه وسلم وهبها
لعلي عليه السلام ، ثم صارت بعد ذلك لبني العباس ، وصرح باسمها البحتري
في قوله في المهتدى بالله :

غدا المهتدى بالله والغيث ملحق بأخلاقه أو داخل في عدادها
إمام إذا أمضى الأمور تتابعت على سنن من قصدها وسدادها
متى يتعمم بالسحاب تلت على كفى لها محتاز إرث اسودادها

قال أبو العلاء المعري في عتب الوليد عن هذا البيت : « المعنى أن
بني العباس كان عندهم برد النبي وعمامته وأصحاب الأخبار يروون أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسمى عمامته السحاب وكذلك رووا أسماء للآلة
التي كان يستعملها ، فزعموا أن مقصده كان يسمى « الجامع » وقضيباً كان له
يأخذه في يده : المشوق ، وكان له قدح من خشب يسمى النسعة^(١) فيما
ذكروا ، ونحو هذه الأشياء » اهـ .

(١) عبارة الحافظ مغطاي في سيرته : « وقعب يسمى النسعة » .

وأما السيف : فالمراد به ذو الفقار^(١) وهو سيف كان للعاص
ابن منبه السهمي الذي قتل كافرًا يوم بدر ، فغنمه النبي صلى الله عليه وسلم
وكان لا يفارقه في حرب من حروبه ، وسمى بذلك لحزوز مثل فقرات الظهر
كانت في وسطه ، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وعلاقته من فضة . وما لخص
ما ذكره ابن خلكان وابن الأثير عن وصوله إلى بني العباس أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان وهبه لعلي عليه السلام ثم صار لبنيه ، وكان مع محمد
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه
لما خرج بالمدينة على أبي جعفر المنصور ، فلما رمى بسهم في قتاله مع جند
المنصور وأيقن بالموت أعطاه لرجل من التجار كان له عليه أربعمائة دينار
وقال : خذه فإنك لا تلقى أحداً من آل أبي طالب إلا أخذه وأعطاك حقه .
فلما ولي جعفر بن سليمان العباسي على المدينة اشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم
أخذه منه المهدي ، ثم صار من بعده للهادي ثم للرشيد ، ورآه الأصمعي وهو
منتقلد به بطوس فقال : يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار ؟ قال : فقلت بلى جعلني
الله فداك . قال : فاستل سيفي هذا . فاستلته فرأيت فيه ثمانى عشرة فقارة .
ويروى أن الرشيد أعطاه ليزيد بن مزيد لما خرج لقتال الوليد بن طريف . اهـ .
وإذا صح هذا فلا ريب في أن الخلفاء استردوه منه أو من ورثته لأنه كان
بعد ذلك عند المعتز بن المتوكل وذكره البحرى في قوله من قصيدة يمدحها :
وقد ترك العباس عندك وابنه عُليُّ قُتِنَ رمى النجم حيث تحيرا

(١) بفتح أوله وكسره .

هما وَرَثَاكَ ذَا الْفَقَارِ وَصَيَّرَا إِلَيْكَ الْقَضِيْبَ وَالرِّدَاءَ الْحَبْرَا
ثُمَّ صَارَ مِنْ بَعْدِهِ لِلْمَهْتَدِيِّ بِاللَّهِ فِيهِ يَقُولُ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا مِنْ قَصِيْدَةٍ :
وَإِنْ يَتَقَلَّدُ ذَا الْفَقَارِ يُضَفُّ إِلَى شَجَاعِ قَرِيْشٍ فِي الْوَعْيِ وَجَوَادِهَا
وَفِي خَبَرٍ آخَرَ رَوَاهُ الْمُقْرِيْزِيُّ فِي خَطِّطِهِ أَنَّ ذَا الْفَقَارَ وَصَمَّامَةَ^(١)
عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ الزَّيْدِيُّ وَسَيْفُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدِرْقَةُ
هَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَسَيْفُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَيُوفًا أُخْرَى
لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ كَانَتْ بِخَزَانَةِ السَّلَاحِ الْفَاطِمِيَّةِ بِمِصْرَ ، ثُمَّ نَهَبَتْ
وَقَسَمَتْ عَلَى الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ ثَارُوا عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِيِّ كُنَى حَمْدَانَ
وَشَاوِرَ وَغَيْرِهِمْ . ا هـ . فَإِنَّ صَحَّحَ أَنَّ ذَا الْفَقَارَ كَانَ مِنْهَا كَمَا ذَكَرَ فَيَحْتَمَلُ أَنَّ
يَكُونُ وَصَلَ إِلَى الْفَاطِمِيِّينَ بِالشَّرَاءِ مِنْ بَعْضِ تِجَارِ الْعِرَاقِ بَعْدَ زَمَنِ الْمَهْتَدِيِّ ،
كَمَا يَحْتَمَلُ أَنَّ يَكُونُ عَادَ إِلَى الْعَبَّاسِيِّينَ بَعْدَ نَهْبِ خَزَانَةِ السَّلَاحِ الْفَاطِمِيَّةِ .
وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) الصممامة بكسر فسكون ويقال الصمصام أيضا بلاتاء في آخره سيف قاطع مشهور له أخبار يطول ذكرها وكان لعمر بن معدى كرب الزبيدي ، وذكره بعض أصحاب السير فيما صار إلى النبي صلى الله عليه وسلم من السيوف ، والأكثر على أن عمرأ أهداه إلى خالد بن سعيد بن العاص ثم وصل بعد ذلك إلى المهدي العباسي ثم صار لابنه الهادي ثم للرشيدي . وفي الكامل لابن الأثير ما يدل على بقاءه عندهم إلى زمن الواثق . وفي أخبار المتوكل أنه كان عنده فدفعه إلى باغر التركي ققتله باغر به لما غدر به الأتراك . قال ابن نباتة في سرح العيون : ومن عند باغر انقطع خبره . قلت : ثم انتقل بعد ذلك إلى الفاطميين بمصر حتى نهبت خزانة سلاحهم على ما ذكره المقرئزي إن صح أنه كان بهذه الخزانة .

الآثار النبوية في مصر

بمصر آثار نبوية مشهورة محفوظة في حجرة خاصة بالمسجد الحسيني بالقاهرة تقصد بالزيارة في أيام معلومة . ولهذه الآثار الشريفة أخبار تتسلسل في التواريخ ، وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان ، حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن . وأول ما عرف عنها أنها كانت عند بني إبراهيم يثيع ، واستفاض أنها بقيت مورثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم اشتراها في القرن السابع أحد بني حنّان^(١) الوزراء الأماثل ونقلها إلى مصر وبني لها رباطاً على النيل عرف برباط الآثار ، وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي . وفي هذا الرباط يقول المقرئ في خطه مانصه :

رباط الآثار : هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطاب على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . قال ابن المتوج : هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب نجر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين عليّ ابن حنا بجوار بستان المعشوق ، ومات رحمه الله

(١) بنو حنا من الأسر العريقة في الإسلام . واسم جدهم حنا بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة على ما ضبطه المقرئ في خطه وكأنه منقول من اسم الحناء التي يختضب بها ثم قصرته العامة على عاداتها في قصر كل ممدود . وقد يظن من لم يعرف ضبطه أنه بفتح الحاء وأتهم من الأقباط الذين أسلموا وتولوا الوزارة أو المباشرة في مصر كبنى مكائس وبني الجيعان وغيرهم .

قبل تكلمته ، ووصى أن يكمل من ربيع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه . ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى ، وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين في تكلمته فعمر فيه شيئاً جيداً . انتهى وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع ، وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثه من واحد إلى آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها إلى هذا الرباط وهي به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها ، وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً ، فلما انحسر الماء من تجاهه^(١) وحدثت المحن من سنة ست وثمانى مائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية وجعل له مدرساً وعندة عدة من الطلبة ولهم جار في كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضاً ، وفي أيام الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط . وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله « . اه . وقد رأينا قبل التعرض لما ذكره غيره عن الرباط والآثار أن نأتى على ما لا بد منه في هذا البحث من التعريف بانيه فنقول :

(١) عاد النيل إليه بعد انحساره وما زال إلى اليوم يجرى بجواره ، ولكن في مجرى صغير ، وحدثت بين هذا المجرى وبين المجرى الكبير جزيرة .

التعريف بباني الرباط : هو سليل بيت الوزارة والسوّدود
والوجاهة والعلم الوزير صاحب تاج الدين محمد ابن صاحب نخر الدين
محمد ابن الوزير صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا . ولد
سنة ٦٤٠ وسمع من سبط السلفي وحدث وكان له شعر جيد وانتهت إليه
رئاسة عصره وكان صاحب صيانة وسوّدود ومكارم وشاكلة حسنة وبزة
فاخرة وتناه في المطعم والملبس والمسكن ونال في الدنيا من العز والجاه مالم
ينله جده صاحب الكبير بهاء الدين بحيث إنه لما تقلد صاحب
نخر الدين ابن الخليلي الوزارة سار من القاعة وعليه التشریف إلى داره
وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف إلى داره . وما زال صاحب
تاج الدين علي هذا القدر من العز إلى أن تقلد الوزارة سنة ٦٩٣ فلم ينجب
وتوقفت الأحوال في أيامه فصرف سنة ٦٩٤ وأعيد إلى الوزارة مرة
ثانية فلم ينجح فعزل . وكانت وفاته سنة ٧٠٧ ودفن في مقابر بني حنا
بالقرافة . (ووُلد والده) صاحب نخر الدين محمد بن بهاء الدين علي
سنة ٦٢٢ وناب عن والده في الوزارة وولى ديوان الأحباش ووزارة
الصحبة في أيام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة وكان له شعر جيد
ودرس بمدرسة والده المسماة بالصاحبية البهائية التي كانت بمصر القديمة
إلى أن توفي في حياة والده سنة ٦٦٨ فدرس بها بعده ولده ، وتوارث
بنو حنا ولاية نظرها وتدرّسها إلى أن عطلت وخربت ثم هدمها بعد
ذلك الأمير تاج الدين الشوبكي والى القاهرة ومصر سنة ٨١٨ ، ولما دُلّي

الصاحب نغر الدين في لحده قام الإمام محمد بن سعيد البوصيري ناظم
البردة وأنشد في الجمع المحتشد بمقبرة نبي حنّاً :

نم هنيئاً محمد بن علي بجميل قدمت بين يديكا
لم نزل عوننا على الدهر حتى غلبتنا يد المنون عليك
أنت أحسنت في الحياة إلينا أحسن الله في المات إليك
فبكي الناس . وكان لها محل كبير ممن حضر .

(وأما جده) فهو الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد ولد
بمصر سنة ٦٠٣ وتقلبت به الأحوال في كتابة الدواوين إلى أن ولى
المناصب الجليلة واشتهرت كفايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر
ركن الدين بيبرس البندقدارى سنة ٦٥٩ وفوض إليه تدبير المملكة
فقام بأعبائها وتصرف في أمورها بحزم وعزم وعفة عن الأموال ، حتى
إنه لم يكن يقبل من أحد هدية إلا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد
يتبرك بما يصل من أثره ، وكان يستعين على ما التزم به من المبرات
بالتاجر . ولما مات الظاهر بيبرس أقره ولده الملك السعيد بركة على
ما كان عليه مدة والده . وكانت وفاته سنة ٦٧٧ قال المقرئى : ورزى
بفقد ولديه الصاحب نغر الدين والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما
بأولادهما ، فما منهم إلا نجيب رئيس فاضل مذكور .

عود إلى الرباط والآثار : تقدم في عبارة المقرئى تسميته برباط
الآثار وهو اسمه المشهور الذى رأيناه مذكوراً به في كل ما وقفنا عليه
من كتب التاريخ ، وسماه ابن دقاق في كتابه الانتصار لواسطة عقد

الأمصار بالرباط الصاحبى التاجى نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين ونقل عبارة ابن المتوج التى نقلها المقرئى عنه ثم بين ما به من الآثار بقوله : « قلت وهو مسجد الآثار الشريفة اشتراها الصاحب تاج الدين من الشريف ^(١) بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة فى هذا الرباط وهى قطعة من العنزة ^(٢) وقطعة من القصعة ومرود وملقط ومخصف ووقف على هذا المكان بستان المعشوق » ثم قال بعد ما ذكر ما وقفه الأشرف شعبان على هذا الرباط : « قلت ذكرت مرة مسجد الآثار عند الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن زقاعة الغزى ^(٣) فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فقال لى إنى استنبطت من القرآن آية فى حق الآثار وهى قوله تعالى « فانظروا إلى أثر رحمة الله » وقرئت آثار ^(٤) فأثر رحمة الله هو المطر ومدد النيل منه والمكان مطل على النيل

(١) بياض فى النسخة بمقدار كلمتين ، ولاريب فى أن الساقط اسم أحد بنى إبراهيم الذى اشترى منه الصاحب هذه الآثار .

(٢) العنزة بفتحيتين الحربة القصيرة .

(٣) هو العالم الصوفى المعتقد صاحب الديوان توفى بالقاهرة سنة ٨١٦ ودفن خارج باب النصر ، وكان قبره مشهوراً إلى القرن الثانى عشر ، وزاره العلامة الشيخ عبد الغنى النابلسى وذكره فى رحلته الحقيقة والحجاز فى رحلة الشام ومصر والحجاز فقال إنه بالزقاق الذى على ميمنة الخارج من باب النصر فى مزار عليه باب وعلى تابوته ثوب أخضر . قلت ومازلت أبحث عنه حتى اهتديت اليه فى هذا الطريق فرأيت فى حالة يرثى لها من الإهمال وقد هدم المزار وزال التابوت والستر ولم يبق غير قبر حقير لاصق بالحائط لا كتابة عليه ، ولولا اعتقاد العامة فيه وقصدهم إياه بالزيارة لدرس وجهل مكانه . وزقاعة بضم الزاى وفتح القاف المشددة وبعدها ألف وعين مهملة مفتوحة وتاء .

(٤) قوله « وقرئت آثار » هى القراءة المشهورة التى كتب عليها العلامة آلوسى =

وآثار رحمة الله هي آثار النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى :
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ولا يجتمع الأثر والآثار في سائر الدنيا
إلا بمصر خاصة ، فهذا أعظم فخر لها .

واستطرد ابن كثير في البداية والنهاية لذكر بعض هذه الآثار
في كلامه عما ورد في المكحلة النبوية فقال : « وبلغني أن بالديار المصرية
مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها
بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم .
وذكر القلقشندي في صبح الأعشى الرباط والآثار في كلامه على
الرباط التي بالفسطاط بعبارة مختصرة قال فيها : « وأما الخوانق^(١) والرباط
فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عمر رباط الآثار
الشريفة النبوية بظاهر قبلي الفسطاط واشترى الآثار الشريفة ، وهي ميل
من نحاس وملقط من حديد وقطعة من العنزة وقطعة من القصعة بجملة
مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة » . اه . وقد وهم في قوله

= في تفسيره ثم قال وقرأ الحرميان وأبو عمر وأبو بكر (أثر) بالإفراد وفتح الهمزة والثاء
وقرأ سلام (إثر) بكسر الهمزة وإسكان الثاء ، وقال الكشاف وقرئ أثر وآثار
على الوحدة والجمع .

(١) الخوانق جمع خانقاه وقد يقال فيها خوانك وخانكاه بالكاف وهي كلمة مولدة
معرفة عن الفارسية وأصلها فيها بالكاف ، والمراد بها أماكن جعلت للصوفية يتخلون فيها
 لعبادة الله تعالى ، وكان حدوث الخوانك في الإسلام في حدود الأربعمائة ويعبر الأتراك
عن الخانقاه بالتسكية . ونقل على مبارك باشا في كلامه على الخانقاه السرياقوسية من خطه
(ج ١٠ ص ٨٧) عن حاشية ابن عابدين على الدر المختار في الفقه ما يفيد أن الخوانك
هي الزوايا الخاصة بصوفية الروم .

بهاء الدين لأن باني الرباط ومشتري الآثار حفيده تاج الدين كما قدمنا وهو ما أجمع عليه المؤرخون . والظاهر أن الذي أوقعه في ذلك ما اشتهر من نسبة الرباط إلى أحد بني حنا ، فذهب ظنه وقت كتابة هذه الجملة إلى أكبرهم وأولهم في الشهرة وهو بهاء الدين سهواً منه ، وجل من لا يسهو . وقلده في هذا الوهم ابن إياس^(١) بقوله في حوادث تولى الظاهر بيبرس على مصر سنة ٦٥٨ ما نصه : « واستقر بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزيراً بالديار المصرية . أقول : والصاحب بهاء الدين بن حنا هذا هو الذي بنى مكان الآثار النبوية المطل على بحر النيل واشترى الآثار الشريفة بجملة كبيرة من المال وأودعها في ذلك المكان الذي أنشأه على بحر النيل وصارت الناس يقصدون ذلك المكان بسبب الزيارة في كل يوم أربعاء » اهـ . غير أنه أفادنا أن زيارة هذه الآثار كانت في تلك العصور كل يوم أربعاء . وذكره البرهان الحلبي في حاشيته المسماة نور التبراس على سيرة ابن سيد الناس ، فقال : « وفي آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل

(١) وهم فيه على مبارك باشا وهما آخر في خطه ، فنسب بناءه للسلطان الملك الظاهر بيبرس وذلك في كلامه على القرية الملاصقة له المسماة الآن (أثر النبي) ومن العجيب أنه لما تكلم عليه هنا لم يبين أنه المسجد الذي كان يسمى برباط الآثار ، ولما تكلم على الربط ذكر رباط الآثار ونقل عبارة المقرئ بنصها ولم يزد عليها شيئاً مما حدث فيه بعد ذلك ، فأوهم بصنيعه هذا أنهما مكانان لاعلاقة لأحدهما بالآخر ، والحقيقة أنه مكان واحد تغير اسمه ومعاله مع الزمن .

الخرانة علبه صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخفف صغير ومليقط صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها، وقد زرناه غير مرة، وهو مكان مريح في غاية النزاهة وما بعده إلا بساتين، وقد زرناه مرة فرآني الإمام جلال الدين ابن خطيب داريا دمشق بسوق كتب القاهرة، فسألتني: أين كنتم؟ قلت: زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء. فقال: هل نظم أحد في ذلك شيئاً؟ فقلت: لا. فقال: أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين، فأنشدني ذلك، وهما:

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشطّ مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل إن لم ترّيه فهذه آثاره
عنها انتهى كلام البرهان الحلبي ونقلناه من حاشيته المذكورة، وقد نقله أيضاً العلامة المقرئ في فتح المتعال باختلاف يسير في بعض الألفاظ. ولما وصل ابن بطوطة الرحالة الشهير إلى مصر في أوائل القرن الثامن وأراد الخروج من القاهرة إلى الصعيد للحج مر بهذا الرباط ونزل به ليلة ووصفه في رحلته بقوله: «ثم كان سفري من مصر عن طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف، فبت ليلة خروجي بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين^(١) وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار

(١) دير الطين قرية على الشاطئ الشرقي للنيل جنوبي مصر القديمة وملاصقة من شمالها للقرية التي بها رباط الآثار المسماة الآن بأثر النبي. ولعل هذه لم تكن حدثت زمن ابن بطوطة ولهذا قال عن الرباط إنه بدير الطين لقربه منها. وكان بدير الطين جامع قديم غير الرباط عمره أيضاً الصاحب تاج الدين ابن حنا ووسعه بعد أن كان ضيقاً.

كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والميل الذي كان يكتحل به والدرفش^(١) وهو الإشفي الذي كان يخصف به
نعله ، ومصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضى الله
عنه ، ويقال إن الصحاب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية
بمائة ألف درهم ، وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية
لخدام تلك الآثار الشريفة . نفعه الله تعالى بقصده المبارك « اه .

فائفة : إنما خرج ابن بطوطة إلى الصعيد لأنه أراد أن يسلك في
حججه طريق صحراء عيذاب ، كما سلكها قبله ابن جبير في القرن السادس ،
فلم يتيسر له الحج منها كما تيسر لابن جبير لفتنة كانت قائمة بعيذاب منعته
من ركوب البحر منها إلى جدة ، فعاد أدراجه إلى القاهرة . وقد أقام حجاج
مصر والمغرب زيادة عن مائتي سنة يسافرون إلى الحجاز من هذه الطريق
فكانوا يركبون السفن في النيل من ساحل الفسطاط إلى قوص ، ثم يعبرون
هذه الصحراء على الإبل إلى عيذاب (بكسر العين المهملة أو فتحها) وهي

(١) الدرفش بكسر ففتح فسكون لفظة فارسية معناها الراية وعربتها العرب بالسين
المهملة وقد تقال بالمعجمة كأصلها وتطلق باللغتين على العلم الكبير والعظيم من الإبل
والضخم من الرجال ولم تقف على استعمالها بمعنى الإشفي إلا في عبارة ابن بطوطة فلعلها
كانت مستعملة بهذا المعنى في عامية المغرب الأقصى في زمنه أو في اللغة المسماة بالشلحة
(بفتح فسكون) التي تتكلم بها بعض القبائل . وأهل المغرب لا يعرفون هذه اللفظة الآن

وقد وردت في شعر ابن قيس الرقيات بالسين المهملة بمعنى العلم في قوله :

تكنه خرقة الدرفش من الشمس كليث يفرج الأجماء
وكذلك في قول البحترى من قصيدته في وصف إيوان كسرى :

فاذا ما رأيت صورة أنطاكية ارتعت بين روم وقرس
وللنايا موائل وأنوش وان يزجي الصفوف تحت الدرفش

بلدة على بحر القنزم المسمى الآن بالبحر الأحمر ، ثم يركبون منها إلى جدة سفناً تسمى الجلاب وواحدتها جلبة ، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة كانوا يردون مصر بمتاجرهم من هذه الطريق ، ولم تزل مسلكاً للحجاج في ذهابهم وإيابهم من سنة بضع وخمسين وأربعمائة إلى سنة بضع وستين ، وستمائة ، وذلك منذ الشدة العظيمة زمن المستنصر الفاطمي وانقطاع الحج في البر إلى أن كسا الظاهر بيبرس الكعبة وأخرج قافلة الحاج في البر من الطريق القديمة المسلوكة إلى أيلة وغيرها ، فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء واستمرت المتاجر تحمل فيها حتى بطل ذلك بعد سنة ٧٦٠ . وكان أمر هذه الجلاب غريباً لأن ألواحها لم تكن تضم بالمسامير كما في سائر السفن ، بل كانت تخاط بأمراس تقتل من قشر جوز الهند المسمى بالترجيل وتعمل لها قلوب من حصر منسوجة من خوص شجر المقل وهو الدوم ، وقد فصلنا الكلام عليها في رسالة لنا في السفن الإسلامية وأسمائها ، أعاننا الله على إتمامها .

عود إلى رباط الآثار : وذكره السيوطي في حسن المحاضرة بما

نصه : « رباط الآثار بالقرب من بركة الحبش عمره الصاحب تاج الدين ابن الصاحب نجر الدين ابن الصاحب بهاء الدين ابن حنّا وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء آخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من نبي إبراهيم أهل ينبع . ذكروا أنها لم تزل موروثه عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملها إلى هذا الرباط ، وهي به إلى اليوم يتبرك بها . » انتهى .

ولم يزل هذا الرباط عامراً مأهولاً بالمصلين والزوار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال ، فنقلت منه الآثار الشريفة خوفاً عليها من السراق ، وتغيرت معاملته بتجديد بنائه . والذي وقفنا عليه من ذلك ، تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ ، كما فى تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق^(١) فففيه أنه لما عزل وأنزله من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ فى مسجد أثر النبي الذى بمصر القديمة ، وكان وسعه وجمده وبني تحته رصيفاً لدفع ماء النيل عن بنائه ، ورتب له مائة عثمانى ، وأرصد له طيناً ، وعين به قراء ووظائف وحراساً قاطنين به وشرط النظر لمن يلى أغاوية اليكيجرية بمصر . وذكر الجبرتي فى حوادث رجب من سنة ١٢٢٤ ما نصه : « وفيه تقييد الخواجة محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى الخراب » اه . قلت : والراجع أنه البناء الباقي إلى اليوم ، ولم يزل هذا المسجد مقام الشعائر والصلوات مقصوداً بالزيارة على قلعة ، لحجر فيه يزعمون أن عليه أثر قدمه صلى الله عليه وسلم ، وليس بصحيح ، وسيأتى كلامنا عليه وعلى ما يماثله من الأحجار فى تنمة ملحقة بهذا الفصل . وأما القصر الذى ذكره الجبرتي فقد زال ، ويجوار المسجد الآن بعض أطلال ماثلة لعلها من بقاياها .

(١) هو فى حوادث وقعت بمصر ولم نعلم اسم مؤلفه ، وورد فى مواضع منه أنه (ابن محمود) . وكان (مرسيل) أحد العلماء الذين راقفوا جيش الفرنسيين الذى احتل مصر سنة ١٢١٣ عثر عليه بها فحمله إلى بلاده ثم سعيها فى استنساخ هذه الذسخة من هذا الأصل سنة ١٣٣٨ وحفظهاها بنجراتنا .

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغورى

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى على المملكة المصرية سنة ٩٠٦ وقاتل بمرج دابق شمالي حلب في قتاله مع السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢ ، وهو الذى بنى المدرسة المعروفة الآن بجامع الغورى عن يمين السالك بشارع الغورية إلى باب زويلة ، وبني أمامها عن يسار السالك القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك ، وفقدت جثته تحت سنايك الخليل فدفن في الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبه السلطان الأشرف طومان باى آخر ملوك الجراكسة بمصر الذى تولى بعده وقتله السلطان سليم سنة ٩٢٣ ، ودفن بها أيضاً على ما فى ابن إياس خوندخان تكن مستولدة السلطان الغورى المتوفاة سنة ٩٢٢ مع أولادها . ونقل على مبارك باشا فى خططه عن الزهرة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسن بن حسين المعروف بابن الطولونى ، أن السلطان الغورى بنى هذه القبة للآثار النبوية وللمصحف العثماني الذى أضافه إليها ، ونص عبارته : « وقد جدد مولانا السلطان عز نصره للمصحف العثماني الذى بمصر المحروسة بِحُطِّ مشهد الحسين رضى الله عنه جلدًا بعد أن آل جلده الواقى له إلى التلف والعدم ، ولمكثه من زمن سيدنا عثمان إلى يومنا هذا ، فألهم الله تعالى مولانا المقام الشريف خلد الله ملكه بطلبه إلى حضرته بالقلمة الشريفة ، ورسم بعمل هذا الجلد المعظم المتناهى فى عمله لا اكتساب أجره وثوابه ؛ وأن يعمل له وقاية من الخشب المنقوش بالذهب والفضة وأنواع

التحسين، وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة الشريفة التي أنشأها بحُط الشرايشيين بين سوق الجمالون وسوق الحُشَيْبَةِ^(١) بمباشرة الجناب العالى الأمير تانى بك الخازندار وناظر الحسبة الشريفة وماعها، وأن تكون القبة المعظمة المأمور بعملها إن شاء الله تعالى مناظرة فى الحسن والإتقان لما سبق، كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصها الله تعالى به من تعظيمها بالمصحف الشريف العثماني والآثار الشريفة النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات». اهـ.

قلت : المصحف المذكور المنسوب لذى النورين عثمان رضى الله عنه هو الذى كان بمدرسة القاضى الفاضل التى كانت بدرب ملوخية^(٢) المعروف الآن بدرب القزازين قرب المشهد الحسينى ، وقد زالت هذه المدرسة وعفا أثرها ، وكانت بها خزانة كتب عديدة النظير تجمع على ما قيل مائة ألف مجلد . ذكر المقرئى أنها تفرقت ولم يبق منها غير هذا المصحف الذى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان . وقد استطرده العلامة القسطلانى فى المناقب التى ألفها للإمام الشاطبى ناظم الشاطبية لذكر هذا المصحف فى كلامه على تولى هذا الإمام الإقراء بهذه المدرسة ، فنقل عبارة

(١) تصغير خشبة ، ويعرف هذا السوق أيضاً بسوق البخاتيين وقيل له سوق الحشبية لحشبة جعلت على بابه تمنع الراكب من الوصول إليه كما فى خطط المقرئى .
(٢) ملوخية الذى عرف به هذا الدرب رجل كان صاحب ركاب الحاكم بأمر الله الفاطمى ويعرف بملوخية الفراش وقد قتله الحاكم وبأشر قتله ولعل اسمه منقول من اسم النبات الذى يطبخ ويؤكل بمصر فيكون بضم الميم واللام وكسر الحاء المعجمة وفتح المثناة التحتية المشددة .

المقریزی فی وصفه ، ثم ذکر نقله إلى قبعة الغوری مع الآثار النبویة ، بعد أن ذکر تشتت کتب هذه الخزانة ، فقال : « ولم یبق منها إلا المصحف الكبير المکتوب بالخط الأول الکوفي المعروف بمصحف عثمان بن عفان ، ویقال : إن القاضي الفاضل اشتراه بنيف وثلاثین ألف دینار ، علی أنه مصحف أمير المؤمنین عثمان بن عفان رضی الله عنه ، وكان فی خزانة مفردة بجانب المحراب من غریبه ، وعليه جلالة ومهابة ، ولم یزل بها حتی خرب ما حول المدرسة المذكورة ، وآل أمرها إلى التلاشی ، فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قانصوه الغوری أجرى الله تعالى علی یده الخیرات ، وختم أعماله بالصالحات ، كما نقل الآثار النبویة لاستیلاء السراق علی القاطنین بمحلها ، وعدم الأمن وخوف الضیاع ، إلى القبعة التي أنشأها تجاه مدرسته الشریفة بقرب الأقباعین^(١) داخل باب

(١) نسبة إلى بیع الأقباع جمع قبع وهي کفة مولدة كانت تطلق علی نوع من القلائس والعرب تقول قبعة بضم القاف وفتح الباء المشددة والعین وتطلقها علی خرقة تحاط کالبرنس یلبسها الصبیان . وقد ذکر المقریزی فی خططه سوق الاقباعین وقال إنه بخط تحت الربع خارج باب زویلة مما یلی الشارع السلوک فیة إلى قنطرة الحرق إلى آخر ما ذکره ، وهو وإن كان قریبا فی الجملة من تلك الناحية فقد كان الأولى بالقسطلانی فی التعریف بمكان المدرسة والقبعة أن یقول بالشرایبیین كما قال ابن الطولونی فی عبارته المتقدمة . وسوق الشرایبیین هذا ذکره المقریزی فی خططه وموضعه الآن الجزء الذی به قبعة الغوری وجامعه من شارع الغوریة وكانت تباع فیة الخلع وأنواع القلائس وإنما قیل له سوق الشرایبیین نسبة لبیع الشرایبیش وواحدھا شربوش وهو قلنسوة تشبه التاج كأنها شکل مثلث ، ولما بطل استعمالها بق السوق معروفًا بها إلى أن زال . ولما استعمل الناس فی القرون الأخيرة القلنسوة المرغیة الحمراء ذات العذبة المعروفة عند المغاربة بالشاشیة سموها بالشربوش إلا أنهم أبدلوا شینه الأولى طاء فقالوا فیہ طربوش ومن شاء =

ذويقة والخرق^(١) من القاهرة المعزية . انتهى .

أما كون هذه الآثار التي ذكر ابن الطولوني والقسطلاني نقلها إلى القبة هي عين الآثار التي كانت بالرباط ، فقد صرح به الشيخ شمس الدين محمد بن أبي السرور البكري في الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة ، فقال في الباب الذي عقده لتعداد ما اختصت به مصر وأهلها من الفضائل ما نصه : « الحادي عشر اختصاصهم بوضع الآثار الشريفة النبوية بأرضهم وببلادهم ، وهي قطعة من العنزة ومرود ونخسف و قطعة من القصعة ، وضم إليها أشياء من آثار الأولياء . قيل إن صاحب تاج الدين بن حنا اشترى هذه الآثار الشريفة بستين ألف درهم ، وجعلها في مكان بالمعشوق بالروضة^(٢) على شاطئ النيل معروف ، وقد نقل ذلك السلطان الغوري إلى مدفنه بالقاهرة . والله أعلم » .

فيعلم من هذا أن الآثار الشريفة نقلت من رباطها إلى هذه القبة في أيام الغوري أي في أوائل القرن العاشر ، غير أننا لم نقف فيما بأيدينا من النصوص على تعيين السنة التي نقلت فيها ، ويغلب على الظن أنها المذكورة في المدة الضائعة من تاريخ ابن إياس المطبوع بمصر ، وهي من ثمان سنة ٩٠٦ ، إلى آخر سنة ٩٢١ . أما قول ابن إياس في حوادث

= الوقوف على أصل لفظه وتاريخ حدوثه فليرجع إلى مقال لنا في ذلك نشرناه في صحيفة (الفتح) الصادرة في ٥ المحرم سنة ١٣٤٥ ومجلة الزهراء ص ٢٢ سنة ١٣٤٥ .

(١) تسمى هذه الجهة اليوم بباب الخلق باللام بدل الراء .

(٢) هذا سهو منه ، فإن البستان المسمى بالمعشوق ، لم يكن بجزيرة الروضة بل

يقرب بركة الحبش .

جمادى الثانية من سنة ٩٢٣ هـ ، عن السلطان سليم : « وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل في مركب وتوجه نحو الآثار الشريفة ، فقام عليه ريح عاصف فانقلبت به المركب في البحر فكاد أن يغرق وأغمى عليه وما بقي من موته شيء ، وقيل إنه كان سكران لا يعي ، فكان في أجله فسحة حتى عاش إلى اليوم » . فلا يؤخذ منه أن الآثار كانت باقية بالرباط إلى هذا العهد ، بعد ما ثبت نقلها قبل ذلك زمن الغورى ، وإنما مراده أنه ذهب للتنزه إلى الجهة المعروفة بذلك ، لأن المسجد بقي معروفاً بالآثار بعد نقلها منه .

نقلها إلى المسجد الحسينى

ظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغورى مدة ثلاثة قرون ونيف إلى سنة ١٢٧٥ هـ ، ولا تخلو التواريخ من ذكرها في هذه المدة ، خلال الحوادث ، فما وقفنا عليه من ذلك قول ابن إياس في حوادث سنة ٩٢٦ هـ ، حينما توقف النيل عن الوفاء في ولاية ملك الأمراء خير بك على مصر . « فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقياس وكان قد مضى من مسرى ستة وعشرون يوماً ، فأقام ملك الأمراء في المقياس ذلك اليوم ، وفرقوا أجزاء الربعة على الحاضرين من الفقهاء ، فقرءوا فيها عشرين دوراً ، ثم قرءوا صحيح البخارى هناك ، وأشيع أن ملك الأمراء فرق هناك على الفقهاء مالا له صورة وأحضر الأطفال الأيتام وفرق عليهم مبلغاً له صورة وأحضر من الآثار الشريفة القميص من المدرسة الغورية^(١) »

(١) هذا سبق قلم ، والصواب من القبة الغورية .

ووضعه في فسقية المقياس وغسلوه في الماء الذي بها ، وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرع إلى الله تعالى بالزيادة .

وذكر الجبرتي في حوادث ربيع الأول من سنة ١٢٠٣ ما نصه :
« وفي عاشره أخبر بعض الناس قاضي العسكر أن بمدفن السلطان الغوري بداخل خزانة في القبة آثار النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل ، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقاً ووضعها في داخل بقعة وضمتها بالطيب ووضعها على كرسي ورفعها على رأس بعض الأتباع وركب القاضي والنائب وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا بها إلى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ورفعوها في مكانها بالخزانة . »

ثم رُئي نقلها من هذه القبة فنقلت منها بسنة ١٢٧٥ هـ . ذكر عصرنا الفاضل السيد محمود البلاوي شيخ المسجد الحسيني والمتولى الآن شيخاً على المسجد الزينبي في (التاريخ الحسيني) أنه سمع من شيوخ ثقات كبراء أنها نقلت من القبة إلى المسجد الزينبي ، ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقاعة ، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤ هـ إلى ديوان الأوقاف . وفي سنة ١٣٠٥ هـ نقلت إلى قصر حابدين مقر الخديو ، ومنه نقلت في السنة المذكورة إلى المسجد الحسيني .

ولما عزم الخديو محمد توفيق باشا على نقلها تلك السنة أمر أن تتخذ لها خزانة بالحائط الشرقي في المسجد الحسيني ، ثم استجلبها من ديوان الأوقاف

إلى قصر عابدين ، وأمر أن تحفظ في شقق من الديباج الأخضر مطرزة
بسلوك الفضة المذهبة ، قيل إن زوجته الأميرة المعظمة أمينة بنت الأمير
إلهامى باشا ابن والى مصر عباس باشا الكبير ، تولت تطريزها بيدها
تعظيماً وإجلالاً لتلك الآثار . ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد يوم
الخميس الخامس والعشرين من جمادى الثانية من السنة المذكورة فى موكب
نخم لم تشهد مصر مثله ، مشى فيه نحو ثلاثين ألف نسمة على أقدامهم ،
واحشد لرويته على جانبي الطريق نحو مائتى ألف وكان الخديو دعا فى
ذلك اليوم العلماء والأعيان إلى القصر للمسير فى الموكب ، وأمر أن يسير
فيه جميع مستخدمي الدواوين ، وكانت الآثار الشريفة ملفوفة فى خمس
شقق من الديباج رفوعة على أسرة فى بهو الاستقبال الكبير وحولها
مجامر البخور ، فلما تم توافد المدعويين استدعى الخديو إلى مجلسه قاضى مصر
والشيخ الأكبر محمداً الأنابى شيخ الأزهر والشيخ محمداً البناء المفتى
ومن كبار العلماء الشيخ محمداً المهدي العباسى ، وكان وقتئذ معزولاً عن
الأزهر والإفتاء ، ومن أبناء البيوت القديمة السيد عبد الباقي البكرى
نقيب الأشراف وشيخ الصوفية ، والسيد عبد الخالق السادات سليل
بنى وفا ، ثم حمل الخديو على يديه إحدى هذه الودائع الكريمة ، وأشار
إلى أخيه الأمير حسين كامل باشا ، والغازى أحمد مختار باشا المندوب
السلطانى العالى ، ومحمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى ، ومحمد رءوف
باشا ناظر الأوقاف ، بحمل الأربع الباقية ، فحملوها وخرجوا جميعاً إلى سلم
القصر المشرف على ميدان عابدين ، فتقدم السيد عبد الباقي البكرى وتسلم

الوديعة التي يحملها الخديو وانتظم مع الحاملين لبقية الآثار . وكان خروج الموكب من القصر في ضحى ذلك اليوم ، ووصل إلى المسجد الحسينى بالسير الرويد فى ثلاث ساعات ، وكان مسيره من عابدين فى شارع عبد العزيز إلى ميدان العتبة الخضراء فشارع محمد على إلى ميدان باب الخلق فشارع تحت الربع إلى باب زويلة فشارع السكرية فالعقادين فالغورية فالسكة الجديدة إلى أن وصل إلى المسجد الحسينى ، وكان فى طليعته خمسة من فرسان الشرطة يتلوهم جميع أرباب الأشرار الذين بالقاهرة حاملين أعلامهم ، ثم كوكبة من فرسان الجيش فكتيبة من مشاته فالأعيان والوجوه فالعلماء وطلبة العلم فمشرون وصيفاً يحملون مجامر البخور وقاقم العطر ، ومن بعدهم حملة الآثار فى صف ، يتوسطهم السيد البكرى ، وعن يمينه ويساره الغازى مختار باشا وكان لابساً حلتة العسكرية ، والأمير حسين باشا أخو الخديو ، وفى الطرفين محمد ثابت باشا ورعوف باشا ، ثم يتلوهم الوزراء - وكان يقال لهم فى ذلك الحين : النظار - ثم مستخدمو الدواوين . فشرذمة من رجال الشرطة . ولما وصلوا بالآثار إلى المسجد أودعوها فى خزانتها وأودعوا معها المصحف العثمانى ، وتسلم مفاتيحها ناظر الأوقاف ، ثم تليت آيات من الكتاب العزيز ، ووقف الشيخ سليم عمر القلعاوى . شيخ مسجد القلعة فخطب خطبة نوه فيها بالآثار ودعا للسلطان وللخديو . ثم لما تولى على مصر الخديو عباس حامى باشا سنة ١٣٠٩ هـ ، رأى أن ينشئ للآثار حجرة خاصة فتم إنشاؤها سنة ١٣١١ هـ وراء الحائط الشرقى للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى لقبة المشهد ، وجعل لها بابان واحد إلى

المسجد وواحد إلى القبة ، وجعلت خزانة الآثار بحائطها الجنوبي ، وهي باقية فيها إلى اليوم تقصد بالزيارة في أيام معلومة .

عدد هذه الآثار وصفتها

نرى فيما سردناه من الروايات اختلافاً في عدد هذه الآثار بالزيادة والنقصان ، وسبب ذلك أن من الراوين من لم يرها ، فذكر ما نقل له عنها بالسماع ، ومنهم من تساهل في استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها ، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله : (وغير ذلك) والذي يتحصل من مجموع هذه الروايات أنها كانت قطعة من العنزة أى الحربة ، وقطعة من القصعة ، وبرود ، وعبر عنه بعضهم بالميل ، وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس أصفر ، ومِلَقَط ، وقال عنه بعضهم من حديد ، وقيده بعضهم بكونه صغيراً لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها . ومخصف ، وقيده بعضهم بكونه صغيراً ، وعبر عنه بعضهم بالإشني الذي كان صلى الله عليه وسلم يخصف به نعله . ومكحلة ، ومشط ، وانفرد بذكرها ابن كثير . وقطعة عصا وانفرد بذكرها الجبرتي . وقطعة من القميص ولم يذكرها إلا ابن إياس والجبرتي . ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأمر المؤمنين على عليه السلام ، ثم أضاف إليها السلطان الغوري المصحف العثماني الذي كان بمدرسة القاضي الفاضل وهما باقيان إلى اليوم وفي نسبتها إليهما نظر^(١) .

ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحلة والبرود والقطعة من القميص

(١) سفرد مقالا فيما نسب من المصاحف الشريفة إلى الصحابة رضى الله عنهم ولا سيما ذى النورين وما روى عنها وقيل فيها .

والقطعة من القضيبي وهي التي عبر عنها الجبرتي بقطعة عصا . وضُم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة^(١) محفوظتان في زجاجة . وقد حفظت جميعها في أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة في قطع من الديباج الأخضر المطرز : المكحلة والمرود في صندوق ، والشعرتان في صندوق ، والقميص في صندوق ، والقضيبي في صندوق . وفقدت بقية الآثار التي كانت معها ، وهي القطعة من العنزة ، والقطعة من القصعة ، والمخصف ، والملقط ، والمشط ، ولا يعلم في أيّ زمان فقدت .

تنبئيه

قال ابن إياس في حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ هـ : « وفيه توفي الشيخ ولي الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضي ثغر دمياط وكان ديناً خيراً أحسن السيرة لا بأس به » اهـ . وهي عبارة مبهمّة قد يفهم منها أنها آثار نبوية أخرى بدمياط كانت في نظر قاضيها ، وقد تبين لنا بعد بحث طويل استوعبنا فيه تراجم الأحمدين بالضوء اللامع للسخاوي أن المراد الآثار المعروفة التي بالقاهرة ، وأن الشيخ وليّ الدين المذكور كان شيخاً عليها ثم نقل قاضياً لدمياط وتوفي بها . وملخص ما جاء عنه في هذا الكتاب أنه الشيخ وليّ الدين أبو زُرعة أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم البارنباري الشافعي سبط داود بن عثمان السبتي ، ولد بمصر سنة ٨٢٨ ، واشتغل على البهاء بن القطان والشهاب بن مبارك شاه والبرهان المتبولي

(١) سيأتي الكلام على الشعرات النبوية الشريفة في فصل خاص .

وغيرهم . وكتب الإملاء عن الحافظ بن حجر ، وسمع الحديث على جماعة منهم عمه النور علىّ والبدر النسابة وهاجر القدسية ، وناب في القضاء عن المناوى ، واستقرّ به العز الكناني سنة ٨٧٠ شيخاً على الآثار . ثم استقرّ به الزين زكريا في قضاء دمياط بعد الصلاح بن كميل ، ومُحَمَّد في ذلك كله لعقله ومداراته وخبرته وسياسته مع فضيلة وتواضع ، وكتب على مختصر أبي شجاع مطولاً ومختصراً ، وشرع في شرح علىّ المنهاج ، ومات وهو بدمياط ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ٨٨٩ ، ودفن بترية تجاه فتح الأسمر . اهـ . قلنا : وقول السنخاوى فتح الأسمر جرى فيه على المشهور عند العامة ، والصواب أنه العارف بالله فاتح بن عثمان الأسمر التكرورى القادم من مراکش إلى دمياط ، والمتوفى بها سنة ٦٩٥ ترجمه المقرئى فى خطه فى كلامه على دمياط ترجمة حافلة بين فيها وهم العامة فى اسمه وذكر له مناقب جليّة فى الزهد والورع وسلوك طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

آثار القدم الشريفة على الأحجار

قلنا في كلامنا على رباط الآثار المسمى بعد ذلك بجامع أثر النبي إن به حجرًا تزعم العامة أن عليه أثر القدم النبوية الشريفة وليس بصحيح ، ووعدنا بمعالجة البحث فيه وفيما يماثله من الأحجار في هذه التتمة فنقول : المعروف الآن من هذه الأحجار سبعة : أربعة منها بمصر ، وواحد بقبة الصخرة ببيت المقدس ، وواحد بالقسطنطينية ، وواحد بالطائف ، وهي حجارة سوداء إلى الزرقة في الغالب عليها آثار أقدام متباينة في الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر . وقد ألف العلامة أحمد ابن محمد الوفاي الشافعي المعروف بابن العجمي المتوفى سنة ١٠٨٦ رسالة سماها : « تنزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الأخبار » بين فيها عدم صحة هذه الأحجار ، وأن لا سند لما ورد فيها . وتقل عن الإمام ابن تيمية أنها من اختراع الجهال وأن ما يروى من حديث تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الصخر إذا وطئ عليه من الكذب المخلوق . وفي ج ١ ص ٢٦٠ من مجلة « الهداية الإسلامية » نبذة في ذلك لأستاذنا العلامة مديرها لخصها من هذه الرسالة فلتراجع . وسنورد في آخر هذه التتمة خلاصة نذكر فيها من تكلم على هذه الأحجار من العلماء الأعلام نفيًا وإثباتًا بعد أن نستوفي البحث فيها من الوجهة التاريخية مبتدئين بما بمصر منها على ما يأتي :

الأول : مهر أثر النبي وهو حجر ضارب إلى الحجرة عليه أثر قدمين ، محفوظ في حجرة صغيرة مطلة على النيل وملاصقة للحائط الغربي لمسجد أثر النبي . وعلى هذه الحجرة قبة وفي حائطها الجنوبي محرابان : أحدهما لاشيء به ، والذي في غريبه به صُفِّة ألصق الحجر عليها وجعل على وجه هذا المحراب رخام منقوش كتب فيه بالنقر سطران بالتركية يفيدان أن إبراهيم باشا مد الله في عمره جدد هذا المقام على رسم القدم . وقد تقدم في كلامنا على رباط الآثار أن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ جدد ووسمه وبني تحته رصيفا وأرصد له أرضاً وعين به القراء والحراس ، ثم نقلنا عن الجبرتي خبر تجديد آخر فيه قام به الخواجه^(١) محمود حسن بزرجان باشا سنة ١٢٢٤ ونقلنا إنه البناء الباقي إلى اليوم على الراجح والذي يظهر أن التجديد الأخير لم يشمل قبة الأثر بدليل هذه الكتابة الباقية على المحراب ، إلا أن تكون هذه الرخامة أعيدت إلى مكانها بعد التجديد إبقاء لاسم إبراهيم باشا وتاريخ وضع هذا الحجر بهذا المكان مجهول ، فلا يغترن الناظر في الخطط الجديدة

(١) الخواجه وقديرسمه بعضهم بألف في آخر بدل التاء لفظ فارسي دخيل في التركية ويرسم في اللغتين يهاء في آخره غير منطوقة وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأفندي والسيد وما في معناها . ويطلق أيضاً على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ المعممين منهم وقد يحرف في هذا المعنى فيقال فيه خوجه يحذف الألف التي بعد الواو . وفي الفوائد البهية في تراجم الحنفية أن القشبندي يطلقون الخواجه على مشايخهم للتكريم . ورأينا في بعض التواريخ تلقيب الوزراء به ثم لقب به كبار التجار واستعمل في ذلك إلى عصر الجبرتي ولما كثرت زروح الأفرنج إلى مصر في أوائل هذا العصر وكان أغلب الوافدين منهم في أول الأمر تجاراً كرموهم بهذا اللقب ثم توسعوا فيه فأطلقوه على كل أفرنجي ثم قيل أيضاً للوجه من غير المسلمين وإن لم يكن أفرنجياً . وقد فصلنا الكلام عليه في معجم العامية المصرية

التوفيقية لعلى مبارك باشا، بما جاء عنه في كلامه عن قرية (أثر النبي) وزعمه أن الظاهر بيبرس هو الباني للمسجد وللقبّة على هذا الأثر، فقد بينّا وهمه هذا فيما تقدم، وأن المسجد من بناء الصاحب تاج الدين ابن حنا، وكان يعرف برباط الآثار، ثم تغيّرت معاملته مع الزمن بما حدث فيه من التجديد، كما تغير اسمه بجامع أثر النبي. والراجح في هذا الحجر، أنه لم يوضع بهذا المسجد إلا في القرون الأخيرة، إذ لو كان من زمن ابن حنا أو ما قرب منه، ما أغفل ذكره مؤرّخو تلك العصور، كما لم يغفلوا ذكر ما كان هنا من الآثار. ولم نجد له ذكراً فيما اطلعنا عليه من الرّحل إلا في « الحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاز » للعلامة عبد الغنى النابلسي، وهي في وصف رحلته إلى هذه البقاع الثلاث في أوائل القرن الثاني عشر، وقد زاره باعتقاد وحسن نية، كما فعل بحجر قايتباي، وكانت زيارته له بعد زيارته لقياس النيل بالروضة، فقال عنه ما نصه: « ثم قمنا من ذلك المكان، وركبنا وسرنا مع الجماعة بالسرور والأمان، إلى أن وصلنا إلى المسجد الذي فيه قدم النبي صلى الله عليه وسلم، فدخلنا إليه وصلينا صلاة الظهر بالجماعة، ورأينا ذلك المسجد فدخلنا إلى قبة لطيفة، وبها البهجة والجلال والهيبة مطيفة، وهناك أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم في حجر شريف، مرتفع في طاق عال منيف، في الحائط القبلي وعليه الماورد^(١) والستر المسبول، وأنواع القبول، وقد عقدت على ذلك المكان قبة سامية البناء، جالبة الهناء، فتهرّكنا به وحصل لنا

(١) أى ماء الورد.

كمال الصفاء ، وغاية الشوق والوفاء » . ثم أنشد فيه لنفسه :
طه الرسول به الفؤاد مولع أكرم بمشاه المؤثر في الحجر
إن فات عيني أن تراه فإنها قنعت هناك بما تراه من الأثر
وأنشد فيه أيضاً قوله :

قدم النبيّ بمصر جئنا نحوه متبرّكين بنوره الفياض
تعلو عليه من الجلالة قبة أنوارها كالبرق في الإياض
وعليه أسرار المهابة والبها يهدى القلوب لذكر عهد ماض
حصلت به كل السعادة والمني للزّائرين وسائر الأغراض
أثره شريف قد بدا في صخرة من مسها يُشفى من الأمراض
انتهى . وبقى هذا المسجد معروفاً بمسجد الآثار بعد نقل الآثار النبوية منه
إلى قبة الغورى في أوائل القرن العاشر ، ثم عرف بجامع أثر النبي ، وهى
تسمية لم نرها في التاريخ قبل القرن الحادى عشر . والغالب أنه سمى
بذلك بعد وضع هذا الحجر فيه ، وقد أطلق هذا الاسم أيضاً على القرية
الملاصقة له ، ثم على الشارع الموصل إليه من مصر القديمة الذى أحدث
في هذا العصر ممتداً على شاطئ النيل .

الثانى : مجر قايتباى : وهو حجر أسود به أثر قدمين موضوع بجوار
قبر السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى المحمودى المتوفى فى
١٧ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ ، وكان أعدّ هذا القبر لنفسه فى حجرة واسعة
ذات قبة شاهقة ملاصقة لمسجده الذى بناه بالصحرَاء المعروفة الآن بقرافة

المجاورين^(١). ويرى الزائر في ركن من هذه الحجرة قبر ولده السلطان الملك الناصر أبي السعادات محمد، المتولى بعده علي المملوك المصرية، والمتوفى مقتولاً في ١٥ ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ، ويجواره حجر آخر أسود عليه أثر واحد يزعمون أنه أثر قدم الخليل عليه السلام. والشائع فيهما عند السدنة وسكان تلك الجهة أن السلطان استجلبهما من الحجاز ليوضعا بعد موته بجوار قبره تبركاً بهما، وهو شيء لم نره مسطوراً في تاريخ^(٢)، وإنما يذكره بعض أصحاب الرحلات علي ما سمعوه من الأفواه، وذكره أيضاً العلامة شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض بما نصه: « قيل إن السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى يجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن ». قلنا: وإذا لم يصح شراء السلطان لهذين الحجرين أو أحدهما، فلا يبعد أن يكونا من الأحجار التي قيل إنها أحضرت من خيبر لشمس الدين ابن الزمن التاجر الشهير وجعلها بمدرسته التي كان شرع في إنشائها بشاطئ بولاق، وكان يقيم أحياناً بمكة للإشراف على أبنية الأشرف قايتباي بها ثم توفي بها سنة ٨٩٧ هـ، فيحتمل أنه أحضرها معه من الحجاز، ثم اختار السلطان منها هذين الحجرين

(١) هي المقبرة الشمالية الواقعة شرقي مساكن القاهرة وكان حدوثها في القرن الثامن وسميت بذلك لأنها أقرب المقابر للأزهر وبها مدافن مجاوريه أي طلبته وفيها بقعة يكثر دفن علمائها بها تعرف بيستان العلماء. ولما توفي الشيخ المعتقد عبد الوهاب العفيفي المدرس بالأزهر سنة ١١٧٢ ودفن في مقبرة المجاورين سميت أيضاً بقرافة العفيفي.

(٢) قال العلامة أحمد بن العجمي في تنزيه المصطفى المختار « لو كان للحجر الذي قيل إن قايتباي اشتراه مجرد شائبة شهرة أيضاً لذكره الجلال السيوطي في ترجمته وعده في مناقبه فإنه كان في زمانه وأثني عليه ». »

فقلهما بعد موته من مدرسته ، والله أعلم . وسيأتي الكلام على هذه المدرسة وما كان بها من الآثار في هذا الفصل وفي فصل الشعرات الشريفة .

وقد زار المقرئ وأبو سالم العياشي هذا الأثر في القرن الحادى عشر وأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى في أوائل القرن الثانى عشر ، وأبو العباس أحمد الفاسى في أوائل الثالث عشر ، فذكروا عدم ثبوت صحته ، وأنه يُزار بحُسن النية فقط . وزاره في أوائل القرن الثانى عشر الشيخ عبد الغنى النابلسى ، ولكنه لم يعتمد فيه إلا على ما سمعه من الأفواه ، وقد ذكره مرتين في رحلته « الحقيقة والحجاز » إحداهما بإسهاب في زيارته الأولى له ، والثانية باختصار في زيارته الثانية عند خروجه من القاهرة للحج ، فقال في الأولى : « ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى جامع السلطان قايتباى ، وهو مكان معمور ، وبأنواع الخير منعمور ، فدخلنا إليه وزرنا قبر السلطان ، وعليه قبة عظيمة ، ذات جدران محكمة جسيمة ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وعند رأس القبر قدم النبي صلى الله عليه وسلم في صخرة موضوعة على كرسى ، وعلى تلك الصخرة قبة لطيفة من خالص الفضة مطلية بالذهب والكتابة بالذهب حولها بالخط الحسن ، وللقبة باب ، ففتح لنا وزرنا القدم الشريفة ، وقبلناها وتبركنا بها ، وعند الجدار الشمالى قبر زوجة^(١) السلطان قايتباى ، وعلى قبرها قدم الخليل إبراهيم

(١) لم يذكر أحد من المؤرخين فيما نعلم أن زوجته دفنت معه بالقبة ، والمذكور أن الذى دفن معه وله السلطان الملك الناصر أبو السعادات محمد . وإنما بجوار حجرة القبة حجرة سفلى بها بعض قبور شاع بين الناس أن زوجة السلطان مدفونة في أحدها ، والذى يؤخذ من تاريخ ابن إياس أن المدفون بهذه الحجرة جانيم وأخوه جاني بك ابنا عم الناصر محمد ابن قايتباى وأزبك الخاصكى ، والثلاثة ممن قتل مع الناصر المذكور .

عليه الصلاة والسلام أيضاً في صخرة ، وعلى تلك الصخرة قبة من خشب
فزرناها وتبركنا بها وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى . وذكروا لنا أن
السلطان سليما من بنى عثمان عليه الرحمة والرضوان لما دخل مصر المحروسة
زار القدم المذكورة قدم النبي صلى الله عليه وسلم وتبرك بها^(١) .
ثم بعد رجوعه إلى بلاد الروم ، أرسل جماعة من الناس إلى مصر ، وأخذ
القدم النبوية المحمدية فحملت الصخرة إليه لأجل التبرك وحصول الخير بها
في البلاد الرومية ، فلما وصل ذلك إلى بلاد الروم سلطان بنى عثمان ، رأى
في منامه السلطان قايتباي ، وأمره أن يرد القدم إلى مكانها ، وقال له :
أنا أخذتها بإذن النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة . فلما أفاق من منامه
أرسلها إلى مكانها وأرسل معها أربعة أعلام مكتوبة بالذهب ، وهي إلى الآن
موجودة في ذلك المكان . اهـ قلنا : الذي نسبه إلى السلطان سليم لم يقله
أحد من المؤرخين ، وإنما نقله كما ذكروه له ، وهو من أوهام السدنة
وخلطهم في المسائل التاريخية . والمعروف أن الذي نقل هذا الحجر إلى
القسطنطينية هو السلطان أحمد بن محمد المعروف عند العثمانيين بأحمد الأول
المتولى سنة ١٠١٢ والمتوفى سنة ١٠٢٦ . وهو الذي جعل عليه القبة الفضة
على ما ذكره العلامة أحمد المقرئ في فتح المتعال في مدح النعال ، فقد
سرد في خاتمة هذا الكتاب مسائل تعرض في إحداها لهذا الحجر ،
وأورد أبحاثاً سقيمة كثيرة الضرورات رآها مكتوبة على الفضة التي جعلها

(١) لا يعرف أنه زار القدم أو دخل هذا المسجد وغاية ما ذكره ابن إياس عنه أنه
لما خرج من القاهرة يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ٩٢٣ عائداً إلى بلاده سار بين التراب
إلى بركة الحاج فلما مر بتربة الأشرف قايتباي وقف هناك وقرأ الفاتحة وأهداها إليه .

هذا السلطان على الحجر ، وهذا نص ما قال : « ومنها أن كثيراً من مادحيه صلى الله عليه وسلم صرحوا بأنه كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه^(١) حتى إنه اشتهر عند الناس بقصد بعض الحجارة التي فيها شبه أثر القدم النبوية فيما يقال للتبرك بها ، خصوصاً ما وضع منها في المواضع المقصودة للزيارة . وقد رأيت بمصر المحروسة بتربة السلطان المرحوم أبي النصر قايتباي المحمودي رحمه الله بالصحراء حجراً فيه أثر قدم يقال إنه أثر القدم النبوية ، والناس يزورونه وقد رأوا له بركات . وقد كان الخنكار^(٢) المرحوم سلطان الرثوم خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان أحمد ابن مولانا السلطان محمد ابن مولانا السلطان مراد بن عثمان^(٣) رحم الله سلفه ونصر خلفه نقله من هذا المحل إلى حضرته العلية القسطنطينية ، ثم أمر برده إلى محله وجعل عليه فضة بصنعة

(١) من ذلك قول بعضهم :

وعليك ظلمات الغامة في الورى
وكذلك لا أثر لمشيك في الثرى
والجذع حن إلى كريم لقاكا
والصخر قد غاصت به قدماكا
وقول الإمام البصيري في الهمزية :

أو بلثم التراب من قدم لا

ويروى (من مشيها) قال العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه لهذا البيت : هذا الذي ذكره الناظم ذكره من تكلم على الخصائص لكن بلا سند .

(٢) الخنكار بضم فسكون معناه في التركية السلطان ، وهو تحريف أو اختصار للفظ خدا وندكار بمعنى السلطان في الفارسية .

(٣) قوله ابن عثمان هي نسبة إلى جدهم الأعلى لأن السلطان مراد المذكور هو ابن سليم بن سليمان بن سليم إلى أن ينتهي النسب إلى عثمان ، وكثيراً ما يعبر المؤرخون عن كل سلطان منهم بابن عثمان .

ملوكية وعليها مكتوب مما قرأته ما مثاله ولم يعلم قائله :

تشوق حضرة السلطان أحمد زيارة موطىء القدم المكرم
فركه بجاذبة اشتياق على إقدام أقدام فقدم
وسيره إلى القسطنطينية^(١) فقال له تقدّم خير مقدم
وأدخل داره باليمن حباً وتعظيماً لصاحبه المعظم
حبیب الله سيدنا محمد عليه ربنا صلى وسلم
وأرجعه^(٢) بإعزاز عظيم إلى تلقاء موضعه المقدم
إلهى عمر السلطان أحمد وقدمه على من تقدم
بجرمة صاحب القدم الملقى إلى الدرجات فى الأفلاك سلم

وتشرف بزيارته سنة ١٠٢٤ ، اه ما ألقيته بحروفه . والذي ذكره من نقل السلطان أحمد للحجر غير مستبعد ، فقد ذكرت التواريخ التركية أنه كان كثير التعظيم للآثار النبوية ، حتى إنه نقش مثال القدم النبوية على صُرعوج عمامته ونقش معه بيتين بالتركية من نظمه ، والصرعوج حلية كانت توضع على القلنسوة أو العمامة ولم نزل هذه القبة إلى اليوم على هذا الحجر ، وهى قبة صغيرة قائمة على قاعدة مربعة رفوعة على أربعة أعمدة والأبيات المذكورة منقوشة بالحفر فى جوانب القاعدة ، ولم تيسر لنا قراءتها إلا بعناء بعد جلاء موضعها ومسحها ، وكانت تظهر لنا فى بعض

(١) قوله (وسيره) هو المنقوش على القبة كما رأيناه والذي فى نسخ فتح المتعال التى اطلعنا عليها (وصيره) بالصاد . وقوله القسطنطينية هو بحذف الياء التى بعد الطاء الثانية لضرورة الوزن .

(٢) هو المنقوش على القبة والذي فى نسخ فتح المتعال (وراجعه) وهو تحريف .

المواضع عند مسجها آثار الطلاء بالذهب ، وقد أكدّ لون القبة وتغير حتى
يخيل لرائها أنها من نحاس .

وأما الحجر الآخر الذى قيل إن به أثر الخليل فعليه شبه قبة من خشب
مستطيلة دقيقة الأعلى واسعة الأسفل كالقمع ساذجة لا أثر للصناعة فيها .
ولما زار أبو العباس أحمد الفاسى فى رحلته إلى الحج سنة ١٢١١
مسجد السلطان قايتباى ، ووصف الحجرين بقوله : « وتبركت بحجرين
هنالك شاع على السنة العوام أنهما أثر فيهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ،
أحدهما بلصق قبر السلطان المذكور فيه أثر قدمين ، والآخر مقابل له
عمدة الداخل من الباب فيه أثر آخر ، وعليهما بناء وهما رفوعان من الأرض
على بناء ، وإن لم يصح ذلك فقد نسبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة
والله يعاملنا بنياتنا » . ثم نقل عبارة أبى سالم العياشى عنهما فى رحلته ،
ونصها ^(١) : « عند رأس القبر حجر مبنى عليه بناء حسن فيه أثر قدمين
شاع عند الناس أنهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ، وهناك حجر آخر
فيه أثر قدم أخرى يقال إنها قدم الخليل ، والناس يزورونها ويدكرون
أنها من الدخائر التى ظفر بها السلطان قايتباى أيام سلطنته ، فجعلت عند
قبره رجاء بركتها ولا يبعد ذلك ، فقد كان ملكا عظيما عدلا موقرا مهيبا
محببا إلى الخلق ، ذاسيرة حسنة فى الرعية ، واجتهاد فى عبادة ربه ، إلا أننا
لم نر من نص على أنه ظفر بشيء من هذه الآثار من المؤرخين ، بل ذكر
جماعة من حفاظ المحدثين أن ما استفاض واشتهر خصوصا على السنة
الشعراء والمداح من أن رجل النبى صلى الله عليه وسلم غاصت فى الحجر

(١) نقلها عنه أيضاً أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى فى رحلته إلى الحجاز

لا أضل له ، ولم يذكر أحد أن أثر الخليل عليه السلام موجود في غير حجر المقام . قلت : وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال إنها آثار بعض أعضاء النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ومرفق وأصابع والله أعلم بصحة ذلك ولكن لم يزل الناس منذ أعصار يتبركون بها من العلماء والصالحين ، ويقتنى الآخر منهم الأول ، فلأجل ذلك لما دخلنا إلى مزار السلطان المذكور صبَّ القيم على الأثرين شيئاً من ماء الورد ، فغمسنا فيه أيدينا ومسحنا بها أوجھنا ورءوسنا وأبداننا رجاء البركة بحسن النية وحيل الاعتقاد» إلى آخر ما ذكره . وقال أبو العباس الفاسي عقب نقله لكلامه : « وما زال يبعد كل البعد عند علماء القاهرة ثبوت الأثر المذكور ، فقد تكلمت مع شيخنا الشيخ داود القلعي في ذلك فلم يسعفني بالكلام فيه » . اهـ . قلنا : وآثار القدم والمرفق التي أشار إليها أبو سالم العياشي رأيناها مذكورة في سؤال رفع إلى الإمام السيوطي ، فأجاب بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند ولا رأى من خرَّجه في شيء من كتب الحديث . اهـ . والذي يرويه الناس في المرفق أنه صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمكة وقَفَ ينتظره ألصق منكبته ومرفقه بالحائط فغاص المرفق بالحائط في الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق زقاق المرفق . اهـ . ملخصاً من فتح المتعال للمقرئ . وذكره أيضاً قطب الدين الحنفي في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في الخاتمة التي خصها بالأماكن المجاب فيها الداء بمكة فقال : إنه صفحة حجر مبنی في جدار في وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم اتسكأ عليه فغاص مرفقه الشريف فيه ، ثم قال : « وما رأيت في كلام أحد من المؤرخين

من حقق شيئاً من ذلك، وَالله أعلم بحقيقته»^(١). وَرَأينا أَيْضاً في موضعين من هذه الخاتمة أن بالجبل المقابل لثبير الذي بلحفه مسجد الخيف غاراً يقال له غار المرسلات لنزول سورة « وَالمرسلات » به، تزعم العامة أن سقفه لأن لرأس النبي صلى الله عليه وسلم فآثر به تجويهاً بقدر دورة الرأس فيضع الناس رؤوسهم في هذا الموضع تبركاً، ثم ذكر أنه لم يقف على خبر يعتمده في ذلك. قلنا: ذكره التقي الفاسي في شفاء الغرام والجلال السيوطي في الخصاص الكبرى عن أبي نُعَيْمٍ ولكن بلا سند، وقد بقي هذان الحجران مقصودين بالزيارة إلى زماننا هذا، وذكرها العلامة إسماعيل الحامدي المالكي أحد علماء الأزهر المتوفى سنة ١٣١٦ في الرحلة الحامدية إلى الأقطار الحجازية وهي في حجه سنة ١٢٩٧ هـ، فقال إنه زارهما وإن حجر المرفق كان قريباً من الصاغة، وذكر حجراً آخر زاره في الطريق التي بين مكة والتنعيم، قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم أسند ظهره إليه فلان وغاص^(١) فيه، وذكر حجراً آخر قيل إن عليه أثر كفه صلى الله عليه وسلم بمسجد الغمامة بجهة بدر، وحجراً بالمدينة في مكان أسفل جبل

(١) وذكره الأسدی بعبارة مختصرة في إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، وذكر كذلك الأثر الذي بغار المرسلات.

(١) لعله الذي سماه التقي الفاسي بالمتكأ في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام إن لم يكن مراده بالمتكأ أثر المرفق أو شيئاً آخر غيرها وقد ذكر أنهما اثنان أحدهما بقرب باب الحرم المعروف بباب العمرة والثاني في طريق التنعيم المعتادة، وقال لعلهما سميّاً بذلك للراحة بالاتكاء عندها من تعب السير إلى العمرة ولم يذكر أنهما نبويان وذكر متكأً آخر منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم بأجياد الصغير وهو دكة مرتفعة ملاصقة لدار شيخ الحجة ومتكأً رابعاً بجهة أخرى من أجياد الصغير ذكره الأزرق وقال فيه: سمعت جدي أحمد بن محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكأ وهل صح عندهما أن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ فيه فرأيتهما ينكران ذلك ويقولان لم نسمع به من ثبت.

أُحُد عليه أثر نبوى . والراجح أنها قلعت جميعها من أما كتبها ومحيت آثارها بعد استيلاء الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد على الحجاز سنة ١٣٤٤ . ومن حجارة الآثار حجر قيل إن عليه أثرًا نبويًا في قرية شهر الطائف يسمونه بأثر الفزالة النبوية ، ذكره الفاكهي في تاريخه للطائف ، ونقله عنه الشيخ محمد عبد الكريم من علماء القرن الثاني عشر في رسالة له في فضائل الحبر ابن عباس والطائف ، ثم قال : « ولم أقف على ما يشهد لذلك في كتب الآثار ولا في أجزاء لطيفة صنفت في آثار الطائف للمتأخرين ولا على ما ينفيه » . اهـ . وقد دعانا التعرض لأثر المرفق إلى الاستطراد لذكر هذه الأحجار إتماماً للفائدة ببيانها وبيان أن لا مستند فيها إلا على ما هو شائع بين الناس ، والله أعلم .

الثالث : هجر المقام الأحمري : وهو في ركن من أركان القبة المقامة على

ضريح السيد أحمد البدوى رضى الله عنه بطندتا المعروفة الآن عند العامة بطنطاً ، ولم أقف فيه إلا على ما ذكره الشيخ عبد الصمد في الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية من أنه حجر أسود مثبت في ركن القبة تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى ، وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس وذاع واستفاض وملاً البقاع والأسماع أنه أثر قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل من زار الأستاذ يتبرك به . اهـ . ولم يتعرض لذكر واضعه وتاريخ وضعه بهذا المكان .

الرابع : هجر البرنبل : وهى قرية شرقي النيل من قسم إطفيح^(١) بولاية

(١) البرنبل كحزبل أى بفتحين فسكون ففتح . وإطفيح كإزميل أى بكسر الأول وهو اسم قرية مشهورة على ما في شرح القاموس للزبيدي

الجيزة وفي شرقيها على قارة بسفح الجبل مقام لسيدى أُويس القرنى ،
والصحيح أنه غير مدفون بمصر . وفي شرقي هذا المقام حجر صلب في
الجبل به أثر قدم تزعم العامة أنه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ويزوره سياح الإفرنج كثيراً .

الخامس : مَجْرَقَةُ الصخرة : بيت المقدس وهو قديم ذكره الإمام
ابن تيمية وأنكر صحته ، وقال عنه العليمى في « الأُنس الجليل ، في تاريخ
القدس والخليل » : « القدم الشريفة في حجر منفصل عن الصخرة محاذ لها
آخر جهة الغرب من جهة القبلة وهو على عمد رخام » . ومثله في « باعث
النفوس ، لزيارة القدس المحروس » لبرهان الدين إبراهيم ابن قاضى الصلت
و « إتخاف الأخصا ، بفضائل المسجد الأقصى » لشمس الدين محمد المنهاجى
السيوطى ، وذكره أيضاً جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصارى في
« تحصيل الأُنس ، لزائر القدس »^(١) بما لا يخرج عن ذلك وزاره العلامة
المقرئ وقال عنه في « فتح المتعال » : « وقد رأيت حجراً فيه أثر قدم
بقبة الصخرة الشريفة بالبيت المقدس ، والناس يعظمونه ويتبركون به » .
وقد زاره العلامة عبد الغنى النابلسى وأشار إليه في رحلته « الحقيقة والمجاز »
محيلاً على ما ذكره عنه في « الحضرة الأنسية ، فى الرحلة القدسية » . وقد
نقل فى الحضرة الأنسية ما قدمنا نقله فى وصفه ، ثم قال : « وجعلوا على
هذا المكان من الفضة على شكل الخزانة له قبة صغيرة وباب بمصرعين

(١) منه نسخة حسنة الخط كتبت سنة ٩٠١ بالخزانة البلدية بالاسكندرية مجلدة مع
فضائل الشام لابن رجب الحنبلى ورقمها (١٣٥١ - د)

كل ذلك مصنوع من الفضة على شكل الخزانة ، ثم خافوا على ذلك من السارق فجعلوا على ذلك شبكة من النحاس الأصفر لها باب بمصراعين أيضاً يفتح للاثنتين ، ففتحوه لنا والتمسنا من أثر تلك القدم البركة ، وقد وضعوا فيه ماء الورد ، فوقفنا ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء ، وأخذنا منه ووضعنا على وجوهنا ، ودفعنا للخادم ما تيسر من الدراهم كما هو عادتهم ، وقلنا في ذلك من النظام على حسب ما اقتضاه المقام :

قام في الصخرة طه المصطفى ليلة المعراج والرسول خدَم
وبدا التأثير من أقدامه عبرة لما بها الصخر اصطدَم
وعجيب كيف في صلح الصفا يظهر التأثير من لحم ودَم
إنه معجزة لا عجب وهو للشك وللريب هدم
فانتى ثم ترى أقدامه فتبركت بأثار القدم^(١)

السادس: مهر القسطنطينية: وهو - على ما في التواريخ التركية - من الآثار التي أخذها السلطان سليم من الشريف بركات أمير مكة بعد فتحه مصر ونقلها معه إلى القسطنطينية ، وهي محفوظة اليوم بقصر (طوبقبر) ، وتسمى عندهم بالأمانات المباركة .

السابع: مهر الطائف: جاء في الطائف من قطر الطائف لابن عراق أن من المواقع النبوية بالطائف موقفاً يجبل أبي زبيدة ، وآخر عند وج

(١) اعتمدنا في نقل ذلك على نسخة مخطوطة من هذه الرحلة أوفى بكثير من المطبوعة

وصخرة عليها أثر موقفه الشريف في مسجد العدّاس بجبل أبي الأخيلة . وقد تكلم العلامة جار الله محمد بن فهد على هذه المواقف في تحفة الطائف في فضائل الخبر ابن عباس ووج والطائف ، إلا أن النسخة التي عندنا وقع بها سقط في هذا الموضع اختلفت بسببه العبارة . وفي « إهداء اللطائف من أخبار الطائف » للعجيمي ما نصه : « ومن المآثر موقف جبل أبي زبيدة في طريق الذهاب إلى وج من جبل يقال له قرين ثم في سفح جبل يقال له أبو الأخيلة معبد العدّاس وهو في مسجد بالمشاة وأثر الموقف ظاهر في صخرة في ركن المسجد المشهور بمسجد الموقف » . اهـ . قلنا : وقد بلغنا أن بوج في الجهة المسماة بالمشاة مسجداً به حجر باق إلى اليوم يزعمون أن عليه أثر مرقته صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يسمونه بمسجد الكوع ، لأن العامّة تطلق الكوع على المرفق وهو من أوهامها ، والمظنون أنه المسمى قديماً بمسجد الموقف ، ثم سماه الناس في العصور الأخيرة بمسجد الكوع لتوهمهم أن الذي به أثر المرفق الشريف لا القدم لعدم وضوح الأثر وضوحاً كافياً فيما يظهر ، ولهذا عدّدناه من أحجار الأقدام الباقية إلى اليوم وليحقق .

أحجار أخرى طنت بمصر : عليها أثر القدم الشريفة فيما زعموا ، أشار إليها السخاوي في ترجمة شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن الزمن الشافعي المتوفى سنة ٨٩٧ ، وذكر أنها أحضرت له من خيبر ، وأنها كانت مع آثار أخرى في مدرسته التي شرع في إنشائها بشاطئ بولاق . قلنا : ولا ندرى أين ذهب ، ولعل منها بعض الأحجار المعروفة بمصر الآن ، كالحجرين اللذين بتربة قايتباي كما قدمنا ، والله أعلم .

مهمراه آخرايه بمكة والمدينة : ذكرهما العلامة المقرئ في فتح المتعالي فقال : « ورأيت بمكة المشرفة أيضاً في القبة التي وراء قبة زمزم أثر قدم في حجر يقولون إنه أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم . وأخبرني بعض الناس أن بالحجرة الشريفة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حجراً كذلك ، ولم أره حين دخلت للتبرك بإيقاد مصابيحها ، ثم سألت عن ذلك الثقات العارفين ، فأجابوني : إن الحجرة ليس فيها شيء من ذلك ، وإنما هو في بعض أماكن المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام ، فذهبت إليه فألقيت موضعه مما لا يمكن دخوله في الوقت الذي ذهبت فيه ، وبعد هذا تكرر دخولي الحجرة الشريفة مراراً عديدة ، فلم أر فيها ذلك يتيقن ، فعلمت أن الخبر لي وهم » . اهـ . قلنا : أما حجر المدينة فلا نعلم عنه شيئاً ، وأما حجر مكة فإن القبة التي كان بها هدمها الشريف عون الرفيق أمير مكة المتولى عليها سنة ١٢٢٩ هـ ، والمتوفى بها يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ . وبلغنا أن حجراً أثرياً كان بها ، وهبه الشريف لأحد الهنود بعد هدمها ، فلعله الحجر المذكور الذي رآه المقرئ .

آثار أقرام بعض الأنبياء : في بعض البلدان آثار أقدم على أحجار

منسوبة إلى بعض الأنبياء كأثر قدم آدم عليه السلام في جزيرة سرنديب المعروفة أيضاً بسيلان بالهند ، وأثر قدم الخليل عليه السلام بالحرم المكي ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطورزيتا بيت المقدس ، وأثر قدم إدريس عليه السلام ببيت المقدس ،

وأثر قدم أيوب عليه السلام بقريّة قرب نوى بالبلاد الشامية . ولكون
مقالنا هذا خاصاً بالآثار الحمديّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
أكتفينا بالإشارة إليها دون التعرض لتحقيقها وتفصيل الكلام عليها .
تسمية : كان في مصر مسجد بالقرافة الكبرى معروف بمسجد الأقدام
يرد ذكره في كتب الخطط والتاريخ ، وقد يتوهم من يراه المذكوراً
عرضاً في بعض العبارات أنه سمي بذلك لأحجار كانت فيه عليها آثار
أقدام منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم أو لبعض الأنبياء عليهم السلام
كالتى تقدمت وليس كذلك ، وإنما سمي بمسجد الأقدام لأن مروان
ابن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون
رجلاً من المعافر سوى غيرهم ، وقالوا : لا ننكث بيعة ابن الزبير ، فأمر
مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر المعافر في هذا الموضع
فسمى المسجد بهم لأنه بنى على آثارهم والآثار الأقدام ، يقال جئت على
قدم فلان أى أثره ، وقيل : بل أمرهم بالبراءة من على بن أبى طالب عليه
السلام فلم يتبرءوا منه فقتلهم هناك ، وقيل سمي مسجد الأقدام لأن قبيلتين
اختلفتا فيه ، كل تدعى أنه من خطتها ، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة
بالأقدام وجعل لأقربهما منه ، وقيل : إنما سمي مسجد الأقدام لأنه كان
يتداوله العباد وكانت حجراته كذناناً فأثر فيها مواضع أقدامهم ، كذا في
خطط المقرئى . قلنا : وإنما أثيرت أقدامهم فيه لأن الكذّان من الحجارة
الرخوة . ولما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ في بناء جامع داخل
باب زويلة ، ونقل إليه العمد والأواح الرخام من الدور والمساجد ، هدم هذا

المسجد لذلك . وفي تحفة الأحباب للسخاوي أنه كان من المساجد السبعة التي بالقرافة المجاب عندها الدعاء ، وكان واسع الفناء على البناء مرتفعاً عن الأرض يصعد إليه من درج ، وكانت العامة تزعم أن به قبر آسية امرأة فرعون ، وتسمى الموضع بها وليس بثابت ، ولم يزل عامراً حتى أنشأ السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ مدرسته داخل باب زويلة من القاهرة فحسبوا له خرابه ، وقالوا له : هذا في وسط الخراب فصار كوماً من جملة الكيمان التي هناك .

آراء العلماء في آثار القرم النبوية الشريفة :

من الذين أنكروا صحة ذلك وذكروا أن لا أصل ولا سند لما ورد فيه الإمام أحمد بن تيمية في فتاواه ، ونقله عنه تلميذه الإمام ابن القيم ، والإمام السيوطي في فتاواه . والعلامة ابن حجر الهيتمي في فتاواه مؤيداً لفتوى السيوطي وفي شرحه للهمزية ، حيث ذكر أن من روى هذا الخبر من أصحاب الخصائص رَوَاهُ بلا سند . والحافظ محمد بن يوسف الشامي تلميذ السيوطي في سيرته النبوية « سبل الهدى والرشاد » . وقال في فتوى شيخه : وناهيك باطلاع الشيخ ، وقد راجعت الكتب التي ذكرها في آخر الكتاب فلم أر ذلك ، فثبي لا يوجد في كتب الحديث والتواريخ كيف تصح نسبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . اه . وقال المقرئ في فتح المتعال : وممن أنكروه الإمام برهان الدين الناجي الدمشقي وجزم بعدم وروده . اه . ومنهم الشمس العلقمي ، والعلامة عبد الرؤوف المناوي ، والعلامة محمد الشوبري قدوة الشافعية فيما كتبه على المواهب اللدنية ،

والعلامة على الأجهوري المالكي في شرح ديباجة مختصر المالكية على ما ذكره عنهم ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار ، والعلامة محمد الزرقاني فيما كتبه على المواهب اللدنية ، والعلامة أحمد المقرئ في فتح المتعال . ومن المتأخرين العلامة داود القلمي على ما حكاه عنه الفاسي في رحلته . ومن أصحاب الرّحل أبو سالم العياشي وأبو العباس أحمد الدرعي وأبو العباس أحمد الفاسي ، غير أنهم قالوا بأنه وإن لم يصح فيزار بحسن النية لنسبته في الجملة للمقام النبوي . والعلامة أحمد الشهير بابن العجمي في رسالته تنزيه المصطفى المختار التي قدمنا ذكرها . وقطب الدين الحنفي في « الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » . غير أن كلامه خاص بأثر المرفق فذكر أنه لم ير في كلام أحد من المؤرخين من حقق ما يقال عنه . والعلامة محمد الحفني الكبير في حاشيته على شرح ابن حجر الهيثمي على الهمزية في قول الناظم :

أو بلم التراب من قدم لا نت حياءً من مسها الصفواء
وقول ابن حجر عنه : « هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند » فإنه علق عليه بقوله : « قوله بلا سند في فتاوى الشارح^(١) هل ورد أنه صلى الله عليه وسلم لأن له الصخر

(١) أي المعروفة بالفتاوى الحديثية لافتاواه الفقيه الكبرى وقد حذف العلامة الحفني من السؤال قول السائل : « وأنه لم يعط نبي معجزة إلا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو واحد من أمته » لأنه غير داخل فيما أنكره السؤل ، بل أجاب عنه بقوله : « والتحقيق أنه لم يعط نبي معجزة إلا أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو أعظم منها »

وأثرت قدماء فيه ؟ وأنه إذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه ؟ وأنه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة ؟ وأن الأثر الموجود بها الآن أثر قدمه ؟ وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى بيت أبي بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق في الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق بمكة زقاق المرفق ؟ فأجاب بقوله : أجاب الحافظ السيوطي لما سئل عن ذلك كله فقال : لم أف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه في كتب الحديث « ثم قال عقب نقله عبارة ابن حجر المذكورة : « وقد ذكر الأئمة أن الحافظ إذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا أعرفه دل على عدم وروده » اهـ .

أما المبتور : فالإمام تقي الدين السبكي بقوله في تأييده :

وأثر في الأحجار مشيك ثم لم يؤثر برمل أو يبطحاء مكة والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية ، غير أن شارحها العلامة الزرقاني رد عليه وناقشه فيما أورده . والعلامة شهاب الدين الخفاجي في نسيم الرياض شرح شفا القاضى عياض في خاتمة أوردها عقب شرحه لفصل المعجزات الواقعة في الجمادات من الباب الرابع الخاص بالمعجزات النبوية من القسم الأول . والعلامة عبد الغنى النابلسي في الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، وقد أطل في محاولة إثبات هذه الآثار ، وقال في رده على من نفي من العلماء وجود سند لها بأن « الراجح إثبات ذلك ميلا إلى ما اتفق عليه عموم الناس واشتهر على السنة الخلف عن السلف وإن لم يكن لهم مستند في ذلك فقد يكون لهم مستند وخفى عنا » اهـ .

ومن ذهب إلى إيجابتها من المتأخرين العلامة أحمد زيني دحلان في سيرته النبوية . قال العلامة ابن العجى بعد أن لخص أقوال المثبتين من أهل عصره ومن قبلهم ما نصه : « وحاصل جميع ما تقدم الاعتراف بأن ذلك لا سند له وأنه على مجرد الشهرة ، وهو غير كاف في إثبات نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم ، لأن الخصوصيات لا تثبت بالاحتمالات ، لأنها من الأمور السمعية المحضة التي لا مجال للعقل فيها بنفسه ، فما وجدنا فيه نصًّا نتحدّث به ونعتقده ، وما لا نصّ فيه نكل علمه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نتكلم به لعدم استقلال العقل فيه بنفسه دون نصّ » اهـ .

بقي أن الجلال السيوطى وإن أنكر ذلك فى فتاواه فقد ذكره فى باب ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن أمته فى أواخر خصائصه الصغرى نقلاً عن رزين العبدري ولكن بلا سند وسكت عنه كالمقرّ له حتى نسبه بعضهم إلى الاضطراب والتردد ، وبعضهم إلى السهو والنسيان ، ولم يعرف أىّ الكتابين أسبق فى التأليف حتى يعول على ما فى الأخير منهما ويُمدّد رجوعاً منه عما فى الأول . وقد حاوّل الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا التوفيق بين صنيعته بقوله : « قلت : لاسهو ولا نسيان فإن السيوطى رحمه الله تعالى لم ينكر هذه المعجزة ، وإنما أنكر ما يؤثر بعينه فى الأماكن التى ذكروها » . قلنا : يصحّ ذلك لو أن السيوطى اقتصر فى فتاواه على إنكاره التأثير فى شيء بعينه ، ولكنه مع إنكاره ذلك فى بعض أحجار معروفة أنكر أيضاً تلين الصخر وتأثير القدم

الشريفة فيه على العموم ، وهذا نصّ ما جاء في السؤال الذي أجاب عنه :
« مسألة فيما هو جار على السنة العامة ، وفي المدائح النبوية ، أن النبيّ
صلى الله عليه وسلم لأن له الصخر وأثرت قدمه فيه ، وأنه كان إذا مشى
على التراب لا تؤثر قدمه فيه ، هل له أصل في كتب الحديث أولاً ؟ وهل
إذا ورد فيه شيء من خرّجه ؟ وصحيح هو أو ضعيف ؟ وهل ما ذكره
الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي في معراجة الذي ألفه مسجماً ولفظه :
« ثم توجهنا نحو صخرة بيت المقدس وعلاها ، فصعد من جهة الشرق
أعلاها ، فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت ، فأمسكتها الملائكة لما تحركت
ومالت » ألهذا أصل في كتب الحديث صحيح أو ضعيف أو لا » إلى
آخر ما ذكر من السؤال عن أثر القدم الذي هناك ، وعن أثر المرفق بمكة
وغير ذلك ، فأجاب عما ذكر بقوله : « لم أقف له على أصل ولا سند ،
ولارأيت من خرّجه في شيء من كتب الحديث » . اه . وذهب العلامة
ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار ، إلى أن المعتمد ما ذكره في الفتاوى
لأن العلماء يتحرون في فتاواهم أكثر مما يتحرون في المصنفات .
وأما كتابه الخصائص فقد جمع فيه ما قيل إنه من الخصوصيات ولم يعتمد
جميع ما فيه ، ولكل مقام مقال . اه ملخصاً . قلنا : وفي قوله هذا نظر ،
لأنه لو كان قصد في هذا الكتاب جمع ما قيل بلا اعتماد جميع ما فيه لنبه
على ذلك في مقدمته أو خاتمته ، والمرجح عندنا أن عدم تعقبه ما نقله عن
رزين بأنه لا أصل له ولا سند على ما قرره في فتاواه لم يكن إلا سهواً منه
وجل من لا يسهو . والله أعلم .

وانتخم هذا البحث بما ختم به هذا الفاضل رسالته « تنزيه المصطفى المختار » فقال : « لا يخفى على ذوى البصائر أن ما ذكر آنفاً جميعه من عدم ثبوت هذه الأحجار الميينة بمصر وغيرها ، إنما الغرض منه تنزيه الجنب الرفيع الأعلى والمقام الأسنى ، عن أن ينسب إلى حماه الأجل الأسمى ، ما لم يثبت عنه أصلاً ، ولا ورد لا قولاً ولا فعلاً ، فلا يتوهم عاقل ألبتة من نفي ذلك تقصاً معاذ الله وحاشا وكلا ، بل ذلك يقتضى زيادة رفعتة العظيمة ، وأنافة منزلته الكريمة ، بحيث لا يحام حول ذلك الحمى الأعظم ، إلا بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، ونصّ على ثبوته من يوثق به من الأئمة لحفاظ الأعلام ، جهابذة الإسلام . »

الآثار التي بالقسطنطينية

هي المعروفة عند الأتراك بالأمانات المباركة ، ولم تزل محفوظة إلى اليوم بقصر طوبقوبو بالقسطنطينية ، وكان بنو عثمان يبالعون في تعظيمها ، ويعدونها من مفاخر دولتهم . والذي يذكره عنها مؤرخو الترك ، أنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة ، فلما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ ، فبعث بها إليه مع ولده أبي نُمَيّ ، فحملها السلطان إلى القسطنطينية في عودته إليها ؛ وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان من آخرهم ، وهو المتوكل على الله ، محمد بن يعقوب^(١) بل ربما تجد هذا الخلاف في الكتاب الواحد فتري الرأي الأول في موضع منه ثم ترى الثاني في موضع آخر بلا تنبيه أو إشارة ، غير أن أكثرهم

(١) هو آخر الخلفاء العباسيين بمصر بل آخرهم على الإطلاق وبموته انقرضت خلافتهم من الدنيا . وكان السلطان سليم العثماني بعد فتحه مصر أخذه معه إلى دار ملكه واعتقله بها ثم عاد بعد وفاته إلى مصر وأقام بها منعوتاً بالخليفة وبأمر المؤمنين إلى أن توفي في ولاية داود باشا سنة ٩٥٠ هـ فما جاء في التاريخ التركي المسمى (علاوة لى أعمار التواريخ) من وفاته بالقسطنطينية ودفنه بجوار أبي أيوب الأنصاري غير صحيح فإن المدفون هناك أحد أقاربه الذين سافروا معه . وذكر قطب الدين الحنفي في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام أن المتوكل هذا كان فاضلاً أديباً وأنه اجتمع به في رحلته إلى مصر لطلب العلم سنة ٩٤٢ هـ وأخذ عنه وأورد من شعره قوله مضمناً شطراً من لامية الطغرأئي :

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ولا كريم إليه مشتكى حزني
وإنما ساد قوم غير ذي حسب (ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني)
وتمامه : (حتى أرى دولة الأوغاد والسفل)

على الرأى الأول ، والظاهر أن الرأى الثانى مبنى على الاستنتاج لا على النقل لتوهمهم أن وجود الآثار النبوية عند الخلفاء من مستلزمات الخلافة ومكملاتها ، فلما عاد السلطان سليم من مصر بالخليفة والآثار ، ظنوا أنه تسلمها منه .

وليس فى التواريخ العربية التى بأيدينا ذكر لهذه الآثار ولا إشارة إليها سوى أن ابن إياس لما ذكر قدوم ابن الشريف بركات على السلطان سليم بمصر قال عنه : « وأحضر صحبته تقادم فاخرة » والمراد بالتقادم الهدايا ، فاعل هذه الآثار كانت منها ، ولكن سكوته عن الإفصاح عنها - مع ما لها من الشأن وجلالة القدر - لا يخلو من نظر .

والذى استخلصناه عن الشريف بركات هذا من تواريخ الحجاز أنه بركات بن محمد بن بركات ، ولد بمكة سنة ٨٦١ ، وسافر إلى القاهرة سنة ٨٧٨ ، ورجع شريكا لوالده فى الإمارة ، ثم استقلّ بها بعد وفاته سنة ٩٠٣ ، ثم ثار عليه أخواه : الشريف هزاع والشريف أحمد الملقب بالجازانى سنة ٩٠٤ ، ووقعت بينهم حروب آلت إلى ورود مرسوم السلطان الغورى من مصر بتولية هزاع الإمارة فتولاها إلى أن توفى سنة ٩٠٧ ، فتولاها بعده أخوه أحمد ، ثم ورد المرسوم من مصر بإعادة بركات فأعيد ، ووقعت بينه وبين أحمد حروب وأهوال فى أثناء سنة ٩٠٨ ثم وصلت جنود من مصر فى ذى القعدة من تلك السنة فمال قائدها مع أحمد وأعاده وقبض على بركات وجماعة من الأشراف وجعلهم فى الحديد وعاد بهم إلى مصر بعد نهب دورهم ، فتألم السلطان الغورى لذلك وأمر

بإطلاقهم وإكرامهم ، ثم فرّ بركات في أواخر هذه السنة أو في سنة ٩٠٩
فألنى أخاه أحمد قد قتل ، وتولى بعده أخوه حميضة ، ثم عاد بركات
إلى الإمارة ، ووصله مرسوم الغورى سنة ٩١٠ ، وضمّ ملكه وفوض
إليه أمر الحجاز جميعه ، ثم شاركه في الحكم ولده أبو نُمَيّْ وهو صغير بأمر
الغورى ، ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ ، أرسل إلى
الشريف بركات يطلب دخوله في الطاعة ، فأجاب ، وأرسل ولده أبا نُمَيّْ
فقابل السلطان ولقى منه إكراماً ، ثم أعاده إلى والده شريكاً له في الإمارة
كما كان إلى أن توفي والده سنة ٩٣١ ، فتولاها أبو نُمَيّْ منفرداً ، وكانت
ولادته ليلة ٩ ذى الحجة سنة ٩١١ ، ووفاته سنة ٩٩٢ عن ثمانين سنة . اه
وقد ذكر ابن إياس قدومه إلى مصر وعودته منها ومقابلته للسلطان سليم
في حوادث سنة ٩٢٣ فقال في حوادث جمادى الآخرة منها ما نصه :
« وفي يوم الأحد خامس عشرة ، حضر إلى الأبواب الشريفة ابن السيد
الشريف بركات أمير مكة ، وكان سبب حضوره أنه أتى ليهنئ ابن عثمان
بمملكة مصر وأحضر صحبته تقادم فاخرة وحضر صحبته بييردى بن
كسبای أحد أمراء العشراوات الذى كان باش المجاورين بمكة » . اه . وقال
في حوادث رجب من تلك السنة : « وفي يوم الخميس رابعه خرج إلى
السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة فتوجه إلى وطاقه^(١) الذى

(١) الوطاق محرف عن أوتاق وهو بالتركية الخيمة الكبيرة التى للعطاء . والمراد هنا

بالريدانية^(١) فكان له موكب حافل ، وخلق عليه السلطان قفطان^(٢) تماشيح
مذهب وقدّامه الرماة بالنّفظ ، وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين
كانوا بالقاهرة ، وقد أشار عليه السلطان بأن الحجازيين الذين بالقاهرة
تخرج صحبته إلى استنبول ، وأشيح أن السلطان سليم شاه كتب
مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضاً عن الباشا الذي
بها وجعله هو المتصرف في أمر مكة قاطبة وأضاف له نظر الحسبة بمكة
أيضاً وأنصفه غاية الإنصاف ، وتزايدت عظمة السيد بركات الشريف
إلى الغاية ، وأكرم ولده غاية الإكرام .

مظنها ورسوم زيارتها : لما عاد السلطان سليم من مصر إلى القسطنطينية
بهذه الآثار جعلها في مسكن الحرم بقصر طوبقوبو حتى هيا لها حجرة
خاصة بهذا القصر نقلها إليها ووكل بها من يقوم بخدمتها ، وكان يحتفل
بزيارتها مع عظماء دولته في شهر رمضان ، والغالب أن يكون ذلك في
منتصفه ، وسنّ لهذه الزيارة نظاماً ورسوماً مفصلة في التواريخ التركية .
ثمّ لما تولى السلطان مراد بن أحمد سنة ١٠٣٢ - وهو المعروف عندهم

(١) الريدانية شمالي القاهرة وتسمى الآن العباسية نسبة إلى عباس باشا الكبير والى
مصر المتوفى سنة ١٢٨٠ وكان بنى بها قصرآ لسكنه وثكنات للجند ومدرسة لتعليم الضباط
ثم امتد عمرانها بعد ذلك واتصلت أبنيتها بالقاهرة وصارت قسماً منها

(٢) القفطان - بضم فسكون على ما تنطق به العامة بمصر - لباس معروف يلبس
تحت الحجة وأصله في التركية قفطان بفتح فسكون وفي الفارسية خفتان بفتح فسكون أيضاً
وقد رأيناه مستعملا في عبارات المؤلفين وفي أشعار المولدين بالخاء كقول السعودي في
مروج الذهب عن يعقوب بن الليث الصفار : « وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاخى »
وورد كذلك في شعر السلاحي والأواء النهشقي من شعراء اليتيمة وغيرها .

بمراد الرابع - نقل الآثار إلى حجرة أخرى خصها بها في هذا القصر وأبقى نظام زيارتها كما هو ، وما زال كذلك إلى أن أبطله السلطان محمود ابن عبد الحميد المعروف بمحمود الثاني سنة ١٢٤٠ ، واستعاض عنه بنظام آخر بقى متبعاً عندهم إلى انقراض دولتهم بخلع الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، وإخراج أسرة بنى عثمان من المملكة سنة ١٣٤٢ . وكانت لهم عناية كبيرة في الاحتفال بهذه الزيارة في منتصف شهر رمضان بحضور السلطان ووزرائه وعظماء دولته ، ويسمونها زيارة الأمانات المباركة ، أو زيارة الخرقه الشريفه ، أو خرقه السعادة ، لأن بينها قطعة من ثوب يزعمون أنها البردة التي وهبها صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير رضى الله عنه^(١) . وما زالت هذه الآثار إلى اليوم في حجرتها بهذا القصر محفوظه في صناديق من الفضة المذهبة .

بيانها : في هذه الآثار ما هو منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيها ما هو منسوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام أو بعض الصحابة رضى الله عنهم . وهي كثيرة لم يذكر أصحاب التواريخ التركية إلا أهمها . وقد رأينا أن نسردها على علاتها كما سردوها ، ثم نعقبها ببيان رأينا فيها ، وهي :

(١) تقدم في فصل البردة والتضييب أن القرمانى ذكر هذه البردة في تاريخه (أخبار الدول) وقال إنها عند سلاطين آل عثمان يتباركون بها ويمسحون ماءها لمن به ألم فيراً بإذن الله ، وأن السلطان مراداً أخذ لها صندوقاً من ذهب تعظيماً لها وتوقيراً . وقد بينا هناك ما وقع في كلامه من الوهم عن مصير هذه البردة إلى بنى عثمان فليراجع .

سنُّ من الأسنان النبوية ، نعلان نبويتان ، خرقة السعادة وهي على زعمهم البردة التي وهبها صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير ، حجر عليه أثر القدم الشريفة ، السجادة النبوية ، قبضة سيف من السيوف النبوية ، القوس النبوية ، اللواء النبوي ، ماء من الغسل النبوي ، قِدر منسوبة لنوح عليه السلام ، مرجل كان لخليل الله إبراهيم عليه السلام ، سيف داود عليه السلام ، عصا شعيب عليه السلام . قيص يوسف عليه السلام ، ميزاب من الذهب كان بالكعبة المعظمة^(١) ، غطاء باب التوبة^(٢) (ولعله حلية كانت عليه) ، حلية من الفضة كانت على مقام إبراهيم عليه السلام بالحرم المكي ، قطعة من الخزف ، سجادة الصديق رضى الله عنه ، عمائم الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم وسيوفهم وراياتهم وسُبحاتهم ، قبضات ستة سيوف من سيوف العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم ، رايتا الحسن والحسين عليهما السلام ، سيف جعفر الطيار رضى الله عنه ، سيف خالد ابن يزيد من الصحابة (ولعلهم يريدون خالد بن الوليد رضى الله عنه) سيف سُرحبيل بن حسنة أحد الأصحاب رضى الله عنه ، سيف مُعاذ بن جبل من الأصحاب رضى الله عنه ، تاج أُويس القرَني رضى الله عنه ، مصحف يزعمون أنه بخط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، مصحف يزعمون أنه بخط عثمان رضى الله عنه ، مصحف بخط زين العابدين

(١) لعله مفتاح قديم لها فإن مفاتيح الكعبة عند بني شيبه ، وكان يعمل لها بمصر كيس من الديباج الأخضر المطرز يرسل به إلى مكة مع الكسوة ويحدد كل سنة .
(٢) باب التوبة باب صغير بالكعبة المعظمة يفضى إلى سلم يصعد عليه إلى سطحها .

من الصحابة (ولعلمهم يريدون الإمام علياً زين العابدين ابن الإمام الحسين عليهما السلام ولم يكن من الصحابة لأنه ولد في خلافة جدّه).

هذا ما سردوه في تواريخهم في بيان أم الأمانات المباركة، وذكروا أيضاً في كلامهم على إمارة مكة أن الشريف أرسل إلى السلطان مع هذه الأمانات بمفاتيح مكة إشارة إلى دخوله في طاعته وتسليمه البلد إليه.

ويذكرون في خبر تولى السلطان مراد بن أحمد الملك سنة ١٠٣٢، وهو المعروف بمراد الرابع، أنهم احتفلوا في اليوم التالي ليوم مبايعته بتقليده السيف فقلدوه سيفين أحدهما سيف نبوي والآخر سيف السلطان سليم بن بايزيد، وأنه لاث يومئذ على رأسه عمامة يوسف عليه السلام المجلوبة من مصر من خزانة السلطان النوري، وكان المعروف أن بين هذه الآثار شعرات نبوية سنفصل الكلام عليها في فصل الشعرات الشريفة.

حكمها: لا يخفى أن بعض هذه الآثار تحتل الصحة، غير أننا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أو نفي، فإله سبحانه أعلم بها. وبعضها لا يسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك، ولا سيما في نسب الأنبياء نوح والخليل وداود وشعيب ويوسف، صلوات الله وسلامه عليهم مع بعد العهد وتقادم الزمن، وكذلك السبب المنسوبة للخلفاء الأربعة، فإن السبب بهذا الشكل المعروف لم تكن حدثت في ذلك العصر، وإنما كانوا يعدون التسبيح بالأنامل وبالنبوي والحصا وعقد العقدة في الخيوط كالخيوط الذي كان لأبي هريرة رضي الله عنه. وقد جمع الإمام السيوطي جزءاً في ذلك سماه «المنحة في السبحة»

وهو مفيد فليراجع . ومما يتوقف فيه زعمهم في المصحفين أنهما بخط الإمامين علي وعثمان رضی الله عنهما . وقد تقدم في فصل الآثار النبوية التي بمصر ذكر مصحف معها قيل إنه بخط أمير المؤمنين أيضاً ، وآخر قيل إنه بخط ذي النورين ، وأشرنا هناك إلى استبعادنا صحة ذلك والله أعلم . أما مفاتيح مكة التي ذكرها فلا ندرى أُرجمت أم عملت لمكة مفاتيح غيرها ، فإن مفاتيحها حملت إلى دار الملك مرة أخرى سنة ١٢٢٨ بعد انتزاع الحجاز من الوهابية مدة العزيز محمد عليّ ، وكان أرسل بها مع مملوكة لطيف أغا مبشراً بالفتح ، وذكر الجبرتي خبر وصوله إلى القسطنطينية واحتفالهم به بما نصه : « وعند دخوله إلى البلدة عملوا له موكباً عظيماً مشى فيه أعيان الدولة وأكابرها وصحبه عدة مفاتيح زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة ، وضعوها على صفايح الذهب والفضة ، وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب ، وخلفهم الطبول والزمور ، وعملوا لذلك شنكاً ومدافع ، وأنعم عليه السلطان وأعطاه خلعاً وهدايا وكذلك أكابر الدولة ، وأنعم عليه الخنكار بطوخين^(١) وصار يقال له لطيف باشا » اه .

وكانت نهاية لطيف باشا هذا أنه عاد إلى مصر مزوداً من رجال الدولة

(١) الطوخ يقال له في التركية (توغ) بالناء والغين العجمة وهو دخيل فيها من الفارسية ، وكان قديماً في الدولة العثمانية من الشارات الخاصة بذوى الرتب من رجالها وهو خصلة من ذنب الفرس تعلق على رمح يرفع على رأس العظيم منهم ، وكان الرسم أن يكون لأمر اللواء توغ واحد على الرمح فإذا كان أميراً للأمراء علق على رمحه توغان وكان للوزير ثلاثة وللصدر الأعظم خمسة وللسلطان في زمن الحرب سبعة .

بإثارة فتنة تنزع فيها مصر من العزيز محمد علي وهو غائب بالحجاز ويولى هو عليها ، فأحس بذلك محمد بك لازاوغلي كتحدا مصر أي وزيرها ، وتدارك أمره قبل استفحاله فقبض عليه وقتله في ذي الحجة سنة ١٢٢٨ ، ولهذا لما أراد خديو مصر العزيز إسماعيل بن إبراهيم إقامة تمثال لجدّه محمد علي بالإسكندرية وآخر لأبيه إبراهيم بالقاهرة ، أقام أيضاً بالقاهرة تمثالا لسليمان باشا الفرنساوي لتنظيمه الجيش وآخر لمحمد بك لازاوغلي لحفظه مصر لهم ولهذا جعلوه ماداً ذراعه يشير بإصبعه إلى الأرض كناية عن تثبيتته ملكهم بأرض مصر ، ولم يكونوا وجدوا له صورة يصوغون التمثال عليها فأرشدتم وقتئذ أحد من أدركه إلى تاجر تركي بخان الخليلي يشبهه فصاغوا التمثال على مثاله ، وهو قائم الآن في ميدان بشارع الدواوين يسمى بميدان لازاوغلي وكانت وفاته سنة ١٢٤٣ ودفن حسب وصيته في قبة الشيخ يوسف بشارع القصر العيني عن يمين المار به إلى مصر العتيقة ، ودفنت بجواره زوجته المتوفاة سنة ١٢٥٠ ، وليس في القبة غير هذه القبور : قبر الشيخ يوسف في الشمال ، ويليه قبر المرحوم محمد بك في وسط القبة ثم قبر زوجته . وفي جنوبي هذه القبة قبة مثلها ليس بها قبور . جعلت الآن مسجداً ، وموضع التمثال لا يبعد كثيراً عن القبتين .

الشعرات الشريفة

قال العلامة ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار : « ثبت في الصحيحين بروايات متعددة أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في حجة الوداع وقسم شعره أو أمر أبا طلحة وزوجته أم سلمة بقسمته بين الصحابة الرجال والنساء الشعرة والشعرتين . قال العلامة ابن حجر فيه : إنه يُسنُّ بل يتأكد التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وسائر آثاره » انتهى . وذكر القسطلاني الروايات في ذلك عن الشيخين في كلامه على حجة الوداع من المواهب اللدنية وجاء في شرحها لسيدى محمد الزرقاني أن روايات الشيخين في ذلك من طرق مدارها على محمد بن سيرين عن أنس وأنه صلى الله عليه وسلم قسم شعره بين أصحابه ليكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم ، وكأنه أشار بذلك إلى اقتراب الأجل ، وخص أبا طلحة بالقسمة التفاتاً إلى هذا المعنى لأنه هو الذي حفر قبره ولحد له وبني فيه اللين . انتهى . وفي كتاب الشمائل من المواهب اللدنية المذكورة مانصه : « وعن أنس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل . رواه مسلم » وفي الشرح أن ذلك كان في حجة الوداع ، ثم قال في المواهب : « وعن محمد ابن سيرين قال : قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال : لأن تكون عندي

شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها رواه البخارى . وفي الشرح :
أن وجه حصوله لمحمد أن سيرين والده كان مولى أنس ، وأنس ربيب
أبي طلحة وكان أول من أخذ من شعره كما في الصحيح . انتهى . قلنا :
وسبب كونه ريبه أن أم سليم بنت ملحان بن خالد الأصبارية كانت
متزوجة بمالك بن النضر في الجاهلية فولدت منه أنسًا هذا وهو خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تزوجها بعده في الإسلام أبو طلحة فها
أصابه ابن سيرين من الشعر الشريف إنما وصل إلى أنس مما كان عند
أمه أو زوجها أبي طلحة . وفي البداية والنهاية لابن كثير عن عثمان بن
عبد الله بن موهب قال : دخلنا على أم سلمة فأخرجت لنا من شعر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكتم . رواه البخارى .
انتهى . وفي رواية أخرى أنها كانت خمس شعرات سُحِر . وفي حديث رواه
الإمام البخارى أيضاً في باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم أن ربيعة بن
أبي عبد الرحمن رأى شعراً من شعره فإذا هو أحمر فسأل فقيل أحمر من
الطيب . وفي الخصائص الصغرى للإمام السيوطى المسماة بأنموذج اللبيب
أنه صلى الله عليه وسلم قسم شعره على أصحابه . وقال في خصائصه الكبرى :
« أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى وأبو تميم
عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم
اليرموك فطلبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه
القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا رزقت النصر » . وفي فصل تحقيق

الإسراء والمعراج من نسيم الرياض شرح شفا القاضى عياض للعلامة شهاب الدين الخفاجى أن معاوية رضى الله عنه كان عنده إزار رسول صلى الله عليه وسلم ورداؤه وشيء من شعره وظفره فكفّن بردائه وإزاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه . انتهى .

قلنا : فما صحح من الشعرات التى تداولها الناس بعد ذلك فإنما وصل إليهم مما قسم بين الأصحاب رضى الله عنهم ، غير أن الصعوبة فى معرفة صحيحها من زائفها ، وسنورد ما اتصل بنا من أخبارها كما بلغنا وعلى ما رأيناه مسطوراً ، تاركين للقراء الكرام الحكم فيها بما تظمنن إليه نفوسهم .

الشعرات الواردة فى الأخبار

شعرة طانت عند المرشدى بمكة : ذكرها العلامة السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بالمرشدى المولود سنة ٧٦٣ بمكة والمتوفى بالمدينة سنة ٨٢٩ فقال عنه : « كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً متجمعاً عن الناس ، زار النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من خمسين سنة مشياً على قدميه ، وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرار ولقى بها رجلاً صالحاً كانت عنده ست شعرات مضافة للنبي صلى الله عليه وسلم ففرقتها عند موته على ستة أنفس بالسوية كان هذا أحدهم كما سبق فى ترجمة ولده عمر » انتهى . والصواب أنه فرقها على ثلاثة أنفس لاسية على ما ذكره فى ترجمة ولده المذكور عمر بن محمد المرشدى المتوفى سنة ٨٦٢ فإنه قال فيها :

« وكانت عنده شعرة مضافة للنبي صلى الله عليه وسلم تلقاها عن أبيه المتلقي لها عن شيخ بييت المقدس كانت عنده ست شعرات فقرقها عند موته بالسوية على ثلاثة أنفس هو أحدهم فضاعت شعرة منهما وقد تبركت بها عنده سنة ست وخمسين » انتهى . ومراده أنه تبرك بها في مكة لما حج . ثم ورث هذه الشعرة أبو حامد المرشدي عن أبيه عمر المذكور ، وذكرها السخاوي في ترجمته بالضوء اللمع في باب الكنى لأن كنيته اسمه وهو أبو حامد بن محمد المرشدي المولود تقريباً سنه بضع وخمسين وثمانى مائة قال السخاوي : « وهو خير متعبد زائد الفاقة عنده شعرة منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ورثها من أبيه » . قلنا : وقد زار العلامة القسطلاني هذه الشعرة وذكرها في كتاب الشمائل من المواهب اللدنية فقال : « وقد رأيت بمكة المشرفة في ذى القعدة سنة ٨٩٧ شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي شاع وذاع أنها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها صحبة المقام العرسى خليل العباسي وإلى الله إحسانه عليه » .

شعرة أخرى طنت بمكة : ذكرها ابن العجمي في تنزيه المصطفى المختار

نقلا عن العلامة ابن حجر الهيتمي ونص عبارته : « بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار ، واتفق الخلف عن السلف أنها من شعره صلى الله عليه وسلم » انتهى . ولا ندري أهي الشعرة التي كانت عند آل المرشدي أم غيرها . ثم استطراد إلى ذكر فتوى لابن حجر عن شعرة كانت عند أخوين آثرنا نقلها لتضمنها خبر إحدى الشعرات النبوية ، ونص ما قال : « وأفاد في فتاويه أنه سئل عن شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم

على ما قيل كانت عند أخوين يزورها الناس وما يحصل من الفتوح يقسم بينهما ثم ماتا فهل إذا طلب ورثتهما قسمتها تقسم كما فعل بعض جدودهم ذلك وقسمها أم لا؟ فأجاب بقوله هذه الشعرة الشريفة لا تورث ولا تملك ولا تقبل القسمة، فالذكورون مستوون في الاختصاص بها والخدمة لها لا تميز لأحد منهم على أحد» انتهى .

شعرات ثلاث بنونى : أفادنا عنها علم من أعلام تونس الثقات ،
وكانت بثلاثة أما كن :

أمرها : قبر الصحابي الجليل سيدى أبى زَمعة البلوى^(١) دفين القيروان وكان أخذ من الشعرات الشريفة يوم نبي في عام حجة الوداع لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ووضعها أبو زمعة في قلنسوته إلى أن استشهد في القيروان فدفنت معه . قلنا : وقد راجعنا ترجمته في معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للعلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ فرأينا بها مانصه : « ومات بالقيروان ودفن بالبقعة التي تعرف الآن بالبلوية سميت به من ذلك الوقت وأمرهم أن يسترُوا قبره ودفن معه قلنسوته وفيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، وذكره الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بن رشيق في كرامات أهل إفريقية . قلت : ونعرف من حفظى أنه

(١) اسمه عبد غير مضاف إلى الله وقيل عبيد بالتصغير ابن أرقم البلوى ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة في عبد وفي عبيد، قالا وهو مشهور بكنته . ثم ترجمه في السكني وقال الحافظ ابن حجر : وقيل اسمه عبيد بن آدم ، والذي في معالم الإيمان عبيد الله بن آدم .

كان فيها ثلاث شعرات وأنه أوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه . انتهى .

الثاني : قال الوزير السراج الأندلسي ثم التونسي : تواتر الخبر بأن بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الآن بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنة المعروفة بزاوية ولي الله المرجاني ، قال ابن الدباغ : أراني إياها حفيده أبو فارس عبد العزيز ف تبركت بها ، وبها براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره صلى الله عليه وسلم ، وبها أثر صفة ، قال : وكان شيخنا أبو صالح البطريني يصحح لنا كون ذلك حقاً .

الثالث : قال الوزير : ومن الأماكن أيضاً ما حدثني والذي حفظه الله تعالى أن الشيخ أبا شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة وحوها فضاء مسور به شجر زيتون ، وإنما سمي أبا شعرة لقضية وهي أنه كان حرفته البناء ، فقادته أزمة السعادة أنه اصطنع لبعض الأكارب بناءات ضخمة تجمع له في أجرها مال ذوبال ، وكان في بعض خزائن صاحب البناءات شعرة من شعرات نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو شعرة : أعطني الشعرة الكريمة وأبرأك الله من جميع ما ترتب لي بدمتك . فأعطاه إياها فأوصى بدفنها معه ، فدفنت معه . تواتر النقل بذلك عند أهل تونس انتهى .

سمر لاه عند الخراطى بمصر : ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته بالدرر الكامنة فقال : إنه على بن محمد بن الحسن الخلابي الحنفي القادوسي المتوفى سنة ٧٠٨ وكان يقال له الركابي لزعمه أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره .

انتهى باختصار ، وستأتي ترجمته بنصها في فصل الركاب النبوي .

شعرة كانت بمدرسة ابن الرزمن بمصر : قال العلامة السخاوي في ترجمته
بالضوء اللامع : إنه شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن عمر الزمن القرشي
الدمشقي ثم القاهري الشافعي المعروف بابن الزمن المولود سنة ٨٢٤ والمتوفى
سنة ٨٩٧ ، وكان مشغولاً كافيته بالتجارة واجتمع بعلماء كثيرين ذكرهم ثم
قال : « وكذا لقي غير واحد من الصالحين ، ووقع له مع بعضهم غرائب
وكرامات انتفع بها ، وأعطاه شخص منهم يسمى بيرجال^(١) الشيرازي
شعرة تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال إنها عنده ، وكذا أحضر له من
خير بعض الأحجار المنسوب أن بها أثر القدم الشريفة ، وكتاب قيل إنه
بخط أحد كتاب الوحي ، والكل محفوظ بالمدرسة التي شرع في إنشائها
بشاطيء بولاق » . انتهى .

ممرات كانت بمجمع برسبای بالخانقاه : وهي قرية بمصر شمالي القاهرة على
بريد منها تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس ، وكان السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ في هذا المكان خانقاه للصوفية ومسجداً
وحاماً وغير ذلك سنة ٧٢٣ ثم رغب الناس في السكنى حول هذه الخانقاه
وبنوا الدور والخوانيت حتى صارت بلدة كبيرة مازالت باقية إلى اليوم
وتسميها العامة : الخانكة . ثم لما تولى السلطان الملك الأشرف برسبای
التركمانى على مصر سنة ٨٢٥ وسافر إلى آمد لقتال ملكها سنة ٨٣٢ نزل

(١) البير يكسر الباء الأعجمية يطلق على الشيخ المسن في التركية وهو دخيل فيها من
الفارسية ، ويطلق أيضاً على الشيخ من مشايخ الصوفية الأعاجم وهو المراد هنا .

بمكان خال من هذه البلدة فنذر إن أحياء الله وظفره بعدوه ورجع سالمًا ليعمرن
في هذا المكان مدرسة وسبيلًا ، فلما ظفر بعدوه ورجع أنشأ هناك جامعًا
عظيمًا^(١) مفروشة أرضه بالرخام الملون ، وبني بجواره سبيلًا قال الإسحاق
في تاريخه (لطائف أخبار الأول) : وقيل إن بحراب الجامع المذكور
تسع شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي معنى ذلك قال الشاعر :

الأشرف السلطان عمر جامعًا بالخانقاه ليرتحم^(٢) بثوابه
وأنى بآثار النبي محمد شعراته قد قيل في محرابه
وإمامه بين البرية محسن وكذا القضاة مع الشهود ببابه

اتهى . ولما وصل العلامة عبد الغنى النابلسي إلى مصر في رحلته إليها
في أوائل القرن الثاني عشر مرّ على بلدة الخانقاه ونزل بها وذكرها في
(الحقيقة والمجاز ، في رحله الشام ومصر والحجاز) وذكر مدرسة الأشرف
برسبأى بقوله : « وفي البلدة المذكورة جامع السلطان الملك الأشرف وهو
جامع عظيم ، له قدر بين الجوامع جسيم ، وذلك أن في محرابه شعرات مدفونة
من شعرات الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وقد أنشدنا فيه
بعض الناس من الجزل ، لبعض أصحاب الرقة والغزل ، قوله :

بلدة الخانقاه مذ قد تجلت قد حلت وانجلت حلاها السنية

(١) كانت دروس العلم تلتق بالمساجد وماخص منها لذلك كان يعبر عنه تارة بالمسجد
وبالجامع وتارة بالمدرسة .

(٢) سكن آخره لضرورة الوزن .

مذبت في الوري عروس حلاها نقطوها الملوكة بالأشرفية^(١) « اه
شعرات كانت عند منجك اليوسفي : ذكرها النعيمي في تنبيه الطالب
وإرشاد الدارس إلى ما بدمشق من الجوامع والمدارس في كلامه على المدرسة
المنجكية التي أنشأها للحنفية الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري
المتوفى بالقاهرة سنة ٧٧٦ وكان مملوكا للناصر محمد بن قلاوون وتنقلت به
الأحوال فولى عدة ولايات كنيابة طرابلس وحلب ودمشق وصفد ، ثم
طلب إلى القاهرة وولى نيابة المملكة إلى أن توفى بها . قال النعيمي في
ذكر مناقبه : « ومن سعادته أنه ظفر بشعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم
فكان لا يزال معه وكان حسن المتقى سيما لأهل العلم » ومثله في مختصر
هذا الكتاب للشيخ عبد الباسط العامري .

(١) قوله (نقطوها) أتى بها على لغة أكلوني البراغيث ، وفي بعض كتب الأدب
(نقطتها) والتنقيط عند العامة إهداء التحف للعروس ليلة عرسها والانعام على المغنين
بالجوائز والاسم منه النقطة بضم فسكون . وفي قوله الأشرفية تورية لأنها كما يراد بها
المدرسة الأشرفية قانها كانت تطلق أيضا على دنانير أحدثها الملك الأشرف برسبای
سنة ٨٣١م تساهلوا بعد ذلك في التعبير عن كل دينار بالأشرف منسوب إلى ضاربه كالأشرفي
النوري والأشرفي السليمي وأطلق أيضا على نوع من الدراهم ، وقد حرفته العامة فقالت :
فيه (شريفی) يكسر أوله وثانيه وكانوا يعبرون به عن الدينار إلى أوائل القرن الماضي
ثم لم يبق له ذكر إلا في أقاصيص العجائز .

الشعرات الباقية إلى اليوم

شعرات المسجد الحسيني بالقاهرة : منها الشعرتان اللتان كانتا مع الآثار النبوية بقبة الغورى وتقلتا معها إلى هذا المسجد ، وهما في زجاجة محفوظة في صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز ، وقد تقدم ذكرهما في فصل الآثار التي بمصر . ثم أضيفت إليهما شعرة كانت عند أحمد طلعة باشا وكان من رجال مصر المشهورين ومن الكتاب المجيدين الإنشاء باللغة التركية تولى رئاسة الديوان الخديوى مرات مدة والى مصر محمد سعيد والخديوى إسماعيل وابنه الخديو توفيق وكان دخوله فى الخدمة فى ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ زمن العزيز محمد على واستقال فى جمادى الأولى سنة ١٣٠١ فأقيل مكرماً ورتب له المرتب الكافى فأقام فى داره بشارع السيوفية بالقاهرة مقبلاً على العبادة والأعمال الصالحة إلى أن توفى يوم الأحد ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢ . وكان المشاع على الأفواه أن هذه الشعرة جباه بها السلطان فى إحدى سفراته إلى القسطنطينية موفداً من الخديو لتسوية بعض الأمور ، ولكن المحقق عند أسرته أنها أهديت إليه من أحد الحجازيين على أنها من الشعر الشريف فعوضه عنها شيئاً كثيراً ، ولما توفى اتفق بنوه على إهدائها للمسجد الحسينى لتحفظ فيه مع الآثار النبوية وكانت محفوظة عندهم فى قارورة فتبرعت لها السيدة خديجة كبرى بناته بصندوق من الفضة وضعت فيه الزجاجة ولف بسبع لفائف من الديباج الأخضر ، ثم حملت بالتعظيم والإجلال إلى المسجد فحفظت فيه

مع الآثار وهي مجهولة المصدر لا يعلم من أين وقعت لهذا الحجازى . وفي سنة ١٣٤٠ أو ١٣٤١ أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط المعروف بتكية^(١) الكاشنى بشارع تحت الربع فى قارورة مختومة بالشمع الأحمر ومحفوظة فى صندوق من الخشب والزجاج موضوع فى خزانة من الخشب والزجاج أيضاً من الصناعة العربية البديعة، فرأى وزير الأوقاف نقلها إلى المسجد الحسينى وحفظها مع الآثار النبوية فنقلت، وأمرها أيضاً بمجهول لا يعلم من أين أتت للرباط . ثم فى شوال سنة ١٣٤٢ أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين سلطان مصر الساكنة بشارع المتديان بالقاهرة قارورة صغيرة إلى المسجد الحسينى وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار فأجيبت إلى ذلك، وكانت القارورة ملفوفة بقطعتين من الديباج الأخضر وموضوعة فى صندوق صغير مكسو بالخمل الأحمر وملفوف بثلاث لفافات من الديباج الأخضر ثم بلفافة من الخمل البنفسجى مطرزة الحواشى . وهي خمس شعرات على ما يقال مجهولة الأصل أيضاً .

سعة رباط النفسانية بالقاهرة: المعروف بتكية النقشبندية بشارع درب

الجاميز عن يسار السالك به من ميدان باب الخلق وهى من إنشاء والى مصر

(١) التكية رباط الصوفية وكانوا يسمونها بالحقاه وهى فى لغة عامة مصر بفتح التاء وكسر الكاف وفتح الياء المشددة وفى اللغة التركية والفارسية بفتح التاء وسكون الكاف وفتح الياء الخفيفة، وقد يحرفها الأتراك فيقولون فيها تكة بفتحيتين بلاياء

عباس باشا الكبير، وسبب إنشائها أنه كان عظيم الاعتقاد في الشيخ محمد عاشق النقشبندى فطلب منه أن يبني له ولصوفيته مكاناً للسكن والعبادة فبنى لهم هذه التكية سنة ١٢٦٨ وجعل بها مصلى وحجراً للصوفية وداراً لشيخهم وأنشأ بها حديقة ووقف عليها أوقافاً كثيرة. ثم لما توفي الشيخ محمد عاشق المذكور سنة ١٣٠٠ دفن بها في مقصورة ولم يعقب ذكوراً فتولى عليها سبطه السيد عثمان خالد وما زال بها إلى الآن. وكانت والدة عباس باشا المذكور لما حجت أحضرت معها من الحجاز شعرة أهديت إليها على أنها من الشعر الشريف، فاما حضرتها الوفاة سامتها للشيخ محمد عاشق وطلبت منه حفظها بالتكية ليتبرك الناس بها وهي معلقة بقطعة من الشمع ومحفوظة في ثلاثة صناديق صغيرة الواحد داخل الآخر وكان الشيخ يحتفل بإخراجها في ليلة المولد النبوي وليلة الإسراء ويدعو لذلك العلماء وكبار رجال الدولة والأعيان ويولم لهم ثم يخرجها من الصناديق ويمسح بها على جفونهم ويناله منهم الشيء الكثير، ثم بطل هذا الاحتفال بعد موته وجعلها سبطه بصناديقها في صندوق أكبر منها علقه على المقصورة التي بها قبر جده، وهي باقية إلى اليوم كذلك.

سمرات القسطنطينية: أفادنا صديقنا العلامة السيد عبد الله مخلص^(١) المقيم

الآن بحيفا أنها كانت يوم تولى السلطان محمد رشاد بن عبد الحميد المعروف بعهد

(١) وهو حفظه الله وأدام النفع به الذي أفادنا أيضاً عن السمرات التي ببعض البلاد

القسطنطينية الآتي بيانها.

الخامس^(١) ثلاثاً وأربعين شعرة محفوظة مع الأمانات المباركة، وأنه أهدى منها إلى بعض المدن بالملكة العثمانية أربعاً وعشرين وبقى تسع عشرة يرجح أنها باقية إلى اليوم، لأن الفترة التي تلت موت رشاد وتولى فيها وحيد الدين ثم عبد المجيد كانت فترة قلاقل وفتن، ثم تلاها عصر الحاد ومروق من الدين وبعده أن يفكر أحد في هاتين المدتين في الآثار النبوية وإهداء الشعرات الشريفة منها. قلنا: وقد علمنا أن السلطان رشاداً أهدى ملكة بهوبال شعرة منها أيضاً، فيكون الباقي الآن ثمانى عشرة، والله أعلم.

شعرات أخرى بالقسطنطينية: كان المعروف أن يعض مساجدها شعرات

مفرقة بينها غير التي بالأمانات المباركة، وقد نقلت ثلاث منها إلى ثلاث مدن بفلسطين كما سيأتى. وأخبرنا أستاذنا العلامة الأكبر الشيخ عبد الرحمن قراعة الذى كان مفتياً بالملكة المصرية عن المولى نورى أفندى آخر قضاة الدولة العثمانية بمصر أنه كان عنده شعرات نبوية، قال: وأظنه أخبرنى أنها ثلاث كانت متوارثة فى أسرة والدته وكانت خالته آخر من كان يحفظها منهم، ثم رآته أجدر بها منها فسلمتها إليه ليقوم بحفظها فى حياته وتبقى فى أسرته من بعد. ولا يعلم الآن عن هذه الشعرات ولا عن حافظها شىء وكان آخر العهد به حين فصلته الدولة المصرية عقب وقوع الحرب العظمى وسفرته مع أسرته إلى القسطنطينية، وبلغنا أنه جعل هناك شيخاً للإسلام

(١) ولد سنة ١٢٦٠ وتولى الملك بعد أخيه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧

وتوفى سنة ١٣٣٦

ثم لم نسمع عنه شيئاً ، ولا سيما بعد الانقلاب الكمالى الذى انتهكت فيه حرمة الدين وعلمائه .

شجرة المشهد الحسينى بدمشق : الملاصق للجدار الشرقى لصحن المسجد الأموى وقد سألنا عنها الصديق العلامة الأستاذ كاملا القصاب الدمشقى نزىل حيفا الآن ، فأجابنا بما أفاده عنها أخوه الفاضل السيد سعيد الحمزاوى وهو ما أخبره به عن ابن عمه السيد حسين الحمزاوى عن أبيه السيد عبد الكريم الحمزاوى أن هذا المشهد كان متهدماً تكتنفه أطلال بالية فزاره والى دمشق الوزير فؤاد باشا سنة ١٢٧٨ وسعى لدى السلطان عبد العزيز فى تعميره وجعل الدار المجاورة له تكية باسم المقام يطعم فيها الطعام كل يوم بعد العصر ، وطلب من علماء دمشق انتخاب مشرف للمقام ومشرف للتكية من أهل الصلاح والعلم ، فاختاروا السيد سلیمان الحمزاوى — والد السيد عبد الكريم المذكور والأخ الأكبر للسيد محمود الحمزاوى مفتى الشام — مشرفاً على المقام لصلته نسبه بصاحبه الإمام الحسين عليه السلام وانتخبوا الشيخ محمد العانى مشرفاً على التكية ، إلا أن التقليد السلطانى جاء باسم السيد خلوصى القادرى من أهل القسطنطينية بدلا من العانى ، ثم إن السلطان عبد العزيز أرسل بشعرة من الآثار النبوية لتحفظ بهذا المقام فحفظت فيه وما زالت إلى اليوم يحتفل بإخراجها فى العام مرة واحدة فى ليلة ٢٧ رمضان ويزورها الناس بعد صلاة التراويح فيقرأ القراء ثم يشرعون فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويخرجها المشرف فيتبرك الحاضرون بتقبيلها وهى بيده وذكر الصلاة مستمر إلى أن تنتهى الزيارة فتعاد إلى لفائفها

وصنديقه وترفع إلى مكانها وفي هذا المقام لوح معلق بالجدار مكتوب
فيه هذه الآيات :

عنى قبة الأفلاك تشمخ قبة من أركانها نور النبوة بادية
حوت رأس مولانا الحسين ونجله بها عبد الباري أنيل مراد
بدها وهي حتى أتى الوقت أرخوا وجددها فضل الوزير فؤاد
١٢٧٨

شعره مقام التومبر بر مشور : وهو المقام المنسوب للسيد سعد الدين
جيان رضي الله عنه سأل عنها السيد سعيد الحمزاوي الشيخ بدر الدين
السعدى شيخ هذا المقام فأخبره أن والده الشيخ إبراهيم سعد الدين تشرف
بهذه الشعرة بالنقل عن والده الشيخ محمد سعد الدين، وهو تلقاها وتشرف
بها عن والده الشيخ محمد الأمين الشهير ببني سعد الدين، وهكذا بالتسلسل
عن جدهم . وأوقات زيارتها يوم المولد النبوي وليلة المعراج وليلة ٢٧
رمضان وهو ما كان عليه عمل الأجداد والأسلاف . وفي هذه الشعرة
يقول الأستاذ الأكبر العلامة السيد محمود الحمزاوي مفتي الشام المتوفى
سنة ١٣٠٥ :

شرف المحل بقدر من قد حله أمر بديهى الثبوت بلا خفا
ولذلك الحراب نخر شامخ إذ حل فيه شريف شعر المصطفى
وقد تتشا على العتبة العليا من مقام هذه الشعرة سنة ١٢٩٢، وكان رحمه
الله يتولى إخراجها في المواسم فيزورها الحاضرون وهي بيده ثم يعيدها
إلى لفائفها ويرفعها إلى مكانها .

شعرة بيت المقدس : لها خازن خاص غير الخطيب والإمام ، والراجح أنها جلبت إليه قديماً ، وخازنها اليوم من أسرة الشهابي ، وميعاد زيارتها في ٢٧ رمضان .

شعرتاه بعلبك وصيدا : من البلاد الفلسطينية ، وكانتا بالقسطنطينية من شعرات الأمانات المباركة ، فأهداها السلطان محمد رشاد لهذين البلدين ، فحفظت إحداها بمسجد أحمد باشا الجزائر بعلكا ، والثانية بالجامع الكبير بحيفا ، وميعاد زيارتهما في ٢٧ رمضان .

ثلاث شعرات بصفد وطبرية والناصره : من البلاد الفلسطينية ، وكانت مفرقة ببعض مساجد القسطنطينية ، ونقلت إلى هذه البلاد بأمر السلطان محمد رشاد ، فحفظت واحدة بمسجد غار يعقوب بصفد ، والثانية بالمسجد العمري بطبرية ، والثالثة بالمسجد المنسوب لعلى باشا بالناصره ، وعلى باشا هذا هو والد عبد الله باشا والى صيدا الذي أسره إبراهيم باشا ابن العزيز محمد على في إغاراته على البلاد الشامية . ثم سرقت شعرة الناصره من المسجد إبان الحرب العظمى التي بدأت في أواخر سنة ١٣٣٢ هـ . والسبب في نقل هذه الشعرات الثلاث من المساجد أن السلطان رشاداً لما أهدى الشعرتين لعلكا وحيفا طلب أهالي هذه البلاد الثلاثة إهداءهم أيضاً من هذه الشعرات للتشرف والتبرك بها ، فأمر بإهدائها لهم من التي بالمساجد لأنه خشي من موالاته الإهداء من شعرات الأمانات أن تقل ثم لا يبقى منها شيء .
وجميع الشعرات المهداة من هذا السلطان جعلت في أنابيب من الزجاج ترى منها بالعين في غاية الوضوح ، وكل أنبوب ملفوف بأربعين قطعة

من الحرير مختلفة الألوان وموضوع في صندوق صغير يحفظ طول السنة في خزانة من الحديد ، وميعاد زيارتها كل عام في ٢٧ رمضان بعد صلاة العصر .

شعرته بطرابلس الغرب : أفادنا عنهما حضرة الفاضل الشيخ الطاهر أحمد الطرابلسي الزاوي نسبة إلى الزاوية الغربية وهي حوزة بطرابلس الغرب تجمع عدة قرى - (إحداهما) بمدينة طرابلس بجامع طورغودباشا في مقصورة غاية في الحسن بالجهة الشرقية من الجامع عن يسار الداخل ، وهي في قارورة من زجاج مستديرة ملفوفة بقطع من الحرير ومحفوطة في صندوق من الأبنوس ، ويحتفل بزيارتها في ليلة النصف من شعبان وليلة المعراج ، فيتهافت الناس على تقميلها للتبرك . والمتولى الإشراف عليها نقيب الأشراف ، وهو الذى يحملها بيده ويناولها للزائرين ، وله مرتب من الأوقاف على ذلك ، ويقال إنها كانت بالقسطنطينية ، فنقلها أحمد راسم باشا إلى طرابلس . (والثانية) يدنى غازى فى جامع راشد باشا المشهور بجامع عثمان ، وقد نقلت إليه من الجامع الكبير ، وجعلت فى مقصورة بأعلى الجامع من الداخل فى الجانب الشرقى . وهى أيضاً فى زجاجة ملفوفة بلفائف من الحرير ، ومحفوطة فى صندوق من الأبنوس ، ويحتفل بزيارتها فى المواسم المتقدم ذكرها ، ويتولى الإشراف عليها المتقى .

شعرته فى مهر بال بالهنر : أهداها السلطان محمد رشاد لملكة بهو بال

سلطان جهان بيك^(١) بنت ملكتها شاه جهان بيك، لما زارته في رحلتها إلى أوربة والقسطنطينية. أخبرنا الأديب الفاضل السيد أبو النصر أحمد البهوبالي نزيل القاهرة، أنها لما عادت إلى بهوبال، احتفلت بنقل هذه الشعرة إلى الجامع الأعظم لتحفظ به، فوضعت بلقائفها في صندوق ثمين حملة ولدها ملك بهوبال الآن على رأسه، فتكأ كالأشخاص عليه للتبرك بلمس الصندوق ولم يخلص إلى المسجد إلا بعسر، ثم إنهم احتفلوا بزيارة هذه الشعرة بالمسجد مرة واحدة، ثم أبطلت الزيارة لاعتراض بعض العلماء وبقيت في صندوقها محفوظة بالمسجد إلى اليوم.

هذا ما تيسر لنا الوقوف عليه من خبر الشعرات المنسوبة إلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه أعلم بالصحيحة منها وغير الصحيحة.

(١) سلطان جهان اسمها ومعناه سلطنة العالم وكذلك اسم أمها شاه جهان معناها سلطنة العالم أو ملكة العالم. وأما بيك فلقب تكريم يذكر بعد الاسم ومعناه الأميرة لأنه مؤنث بيك بمعنى أمير، وهو الذي تقول فيه عامه مصر (بيه) بالهاء بدل الكاف وبالإمالة، ومثل بيك خانم فإنه مؤنث خان بمعنى الحاكم أو الأمير أو السيد العظيم وما زال مستعملاً بمصر لقب تكريم لنساء الأسر الرفيعة يلحق بأسمائهن. غير أنهم قبلوا خاءها في النطق فقالوا فيه هانم، وهذه الهمزة علامة للتأنيث في التركية تلحق ببعض الكلمات.

العلم النبوى

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عدة ألوية ورايات ، منها ما كان خاصا ، ومنها ما كان يعقده لأمرء جيوشه وسراياه . وقد تتبعنا ماورد عنها فى التاريخ فلم نعثر على ذكر شىء منها بقى بعد زمن النبوة إلا ما يذكرونه عن الراية المسماة بالعقاب ، وهذا ما وقفنا عليه عنها :

جاء فى مادة (عقب) من لسان العرب : « والعقاب علمٌ ضخم ، وفى الحديث أنه كان اسم رايته عليه السلام العقاب ، وهى العلم الضخم ، والعرب تسمى الناقة السوداء عقاباً على التشبيه ، والعقاب الذى يعقد للولادة شبه بالعقاب الطائر ، وهى مؤنثة أيضاً » . اهـ . وقال ابن سيد الناس فى سيرته المسماة بعيون الأثر فى باب ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح والدروع والرايات ما نصه : « وراية سوداء مربعة يقال لها العقاب ، وراية بيضاء يقال لها الزينة وربما جعل فيها الأسود . وروى أبو داود فى سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه عن آخر منهم ، قال : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء^(١) . وروى أبو الشيخ بن حيان من حديث ابن عباس قال : كان مكتوب على راياته : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقال الحافظ الدمياطى قال يوسف

(١) فى حاشية البرهان الحلبي على هذه السيرة مانصه : « انفرد به أبو داود وأخرجه

ابن الجوزي^(١) روى أن لواءه^(٢) أبيض مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله . « ١٠١ هـ .

وفي الكامل لابن الأثير ومعجم البلدان لياقوت أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما سار من العراق لفتح الشام ووصل إلى الثنية المشرفة على غوطة دمشق كان ناشر أرايته ، وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب ، فوقف عليها ساعة فسميت ثنية العقاب ، وقيل سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والأول أصح . انتهى ملخصاً منهما . وجاء عنها في آثار الأول في ترتيب الدول أنها كانت سوداء وأنها ركزت على جبل دمشق على الثنية فسميت بها وهي ثنية العقاب . وفي تاريخ يعقوبى مانصه : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد سار إلى غوطة دمشق ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء^(٣) تدعى العقاب فيها سميت ثنية العقاب » .

قلنا : ومن عند خالد بن الوليد انقطع خبر هذه الراية في التاريخ ، فلم نقف على انتقالها أو انتقال غيرها من الرايات النبوية إلى أحد من الخلفاء أو الملوك سوى ما يدعيه الترك في اللواء المحفوظ مع الآثار القسطنطينية ومارواه الجبرتي عن لواء آخر سمته العامة بمصر بالبندق النبوي .

(١) في حاشية البرهان الحلبي أن المراد اللواء المؤرخ أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان المتوفى سنة ٦٥٤ .

(٢) ذكر البرهان الحلبي عن أبي ذر الفرق بين اللواء والراية بأن اللواء ما كان مستطيلاً والراية ما كان مربعاً .

(٣) شد يعقوبى في جعلها بيضاء ، فإن من ذكر لون العقاب من المؤرخين ذكر أنها كانت سوداء .

لواء القسطنطينية

تقدم في الآثار التي بالقسطنطينية ذكر لواء زعموا أنه من الأولوية النبوية ، وقد بينا هناك أن في هذه الآثار ما يحتمل أن يكون صحيحاً وإنما توقعنا فيها لأننا لم نر لها ذكر آ في رواية لأحد الثقات يمهّد للنفس سبيل الاطمئنان إليها . ولم يفصح مؤرخو الترك عن لون هذا اللواء ولا ذكروا شيئاً من صفته ولا ما كتب عليه ، وإنما يروون من خبره أن بنى عثمان كانوا يحرصون عليه حرصهم على بقية الأمانات المباركة ، وأنهم اضطروا إلى إخراجه ونشره في بعض الفتن ليتألفوا به الأمة كما حدث في قيام اليكيجيرية على السلطان أحمد بن محمد المعروف بأحمد الثالث المتولى سنة ١١١٥ فإنه اضطر إلى إخراجه وركزه بباب القصر وبث المنادين في الأهالي بالاجتماع عنده ولكنه لم يوفق في قمع الفتنة وانتهى الأمر بخلعه . وحدث في قيام اليكيجيرية على السلطان سليمان بن إبراهيم المتولى سنة ١٠٩٩ بسبب نفقة البيعة أن أحد التجار ممن نهبت أمتعتهم أراد أن يحتال في تأليب العامة عليهم فعمد إلى رمح عقد عليه شقة من البز الأبيض موها أنه اللواء النبوي أخرج من القصر ، وتسامعت العامة به فتجمت والتفت حوله . ولما أراد السلطان محمود بن عبد الحميد الملقب بالثاني إبادة اليكيجيرية وتخليص الدولة من أذاهم اضطر إلى إخراج اللواء من الأمانات ليقوى به نفوس شيعته ويكثر سوادهم بمن يلتف من العامة حوله ، قال المولى محمد أسعد قاضي القسطنطينية في كتابه (أس ظفر^(١)) الذي ألفه بالتركية في هذه الحادثة

(١) اسم هذا الكتاب تاريخ بالجلل للحادثة أي سنة ١٢٤١ وقد طبع بالقسطنطينية سنة ١٢٤٣

إن السلطان لما أراد الزحف عليهم أخرج اللواء النبوي من حجرة الخرقه الشريفة وسامه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام. وقد فصل غيره من مؤرخي الترك هذا الخبر بأنهم لما أعلنوا بالعصيان أسرع الصدر الأعظم وعماله الدولة وكبرائها إلى قصر بشكطاش مقر السلطان وأعلموه بالخطب وانتقلوا معه إلى قصر طوبقوب الذي به الأمانات وتضرعوا إليه بإخراج اللواء الشريف فاستعظم الأمر وتمنع خشية من عطب يصيبه ثم مازالوا به حتى رضى وذهب إلى حجرة الأمانات فأخرجه وحمله إليهم وهو يبكي وسامه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام فذهبا به إلى أت ميدان^(١) ومعهما المدفعية من جنود النظام الجديد لقتال أولئك البغاة ولما وصلوا إلى الميدان تقدم قاضي استنبول وصاح قائللا: من اختار اليكيجرية فليذهب إلى مراجلهم^(٢) ومن اختار الإسلام فليضو إلى السنجق الشريف^(٣) فأسرع أغلب الناس للانضمام إلى اللواء. ثم أطلقت المدافع على اليكيجرية وثكنتهم

(١) أت ميدان بتقديم المضاف إليه على المضاف كالتقاعدة في التركية معناه ميدان اللحم لأنهم كانوا يوزعون فيه اللحم على اليكيجرية وكانت ثكنتهم مطلة عليه وقد أوردته بهذا المعنى شمس الدين ساهى في معجمه التركي ولكنه أوردته في قاموس الأعلام بلفظ (آت ميدان) بعد أوله على أن معناه ميدان الخيل لأنهم كانوا يروضون فيه المهاري ويدربونها.

(٢) كان من عادة اليكيجرية عند العصيان أن يقبلوا في الميادين مراجلهم التي يطبخون فيها طعامهم كأنهم يشيرون بذلك إلى رفضهم أكل طعام الدولة وخدمتها.

(٣) السنجق أو السنجاق في التركية اللواء وكان يطلق في مصر على الكبير الخائز لرتبة أمير اللواء من أمراء الجراكسة الذين كانوا يحكونها مدة العثمانيين، والظاهر أن أصله أمير سنجق ثم خفف بحذف جزئه الأول، كما يقال الآن للبasha من الجند اللواء وأصله أمير لواء.

فهدمت عليهم وكتب إلى الولايات بآبادتهم فأيدوا عن آخرهم . وقد وهم البستاني في دائرة المعارف ومحمد فريد بك في تاريخ الدولة العلية العثمانية في زعمهما أن السلطان سار بنفسه مع جند المدفعية إلى أت ميدان وهو قول لم يقله أحد من مؤرخي الترك ولا سيما المشاهدين منهم للحادثة ، والصواب أنه بقي بالقصر وأرسل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام واللواء والجنود كما ذكرنا .

اللواء الذي سموه بمصر البيرق النبوي^(١)

وهو علم كبير من الأعلام التي كانت بالقلعة أخرجها السيد عمر مكرم نقيب الأشراف للعامرة عند قيامهم لدفع الفرنسيين عن القاهرة فسموه بالبيرق النبوي ، والظاهر أن بعض قادتهم اختلق لهم ذلك ليزيد في تحمسهم فاعتقدوه . وملخص خبر هذه الواقعة أن الفرنسيين لما قصدوا الاستيلاء على مصر سنة ١٢١٣ كان عليها وال عثمانى ليس له من الأمر شيء على عادة ولاتهم بها ، وكان يحكمها كبيران من الجراكسة مشاركة وهما إبراهيم بك الكبير ومراد بك والتصرف في أغلب الأمور لمراد بك ، وكان أخرق رهقا من شر أمرائهم وأضراهم بظلم الرعية وأجبنهم عند اللقاء . فن مساويه في ذلك أنه خرج قبل مجيء الفرنسيين للتزهر في الريف أي الوجه البحري فعاث فيه وأفحش في القتل والنهب وإحراق القرى وتشتيت سكانها ، ثم عاد إلى القاهرة ظافرا مملوء الوفاض بالعنائم بعد أن غادر أكثر قرأه بيا

(١) البيرق لفظ تركي وأصله في هذه اللغة يراق أو يياراق ومعناه اللواء والراية .

فلم يلبث أن بلغه نبأ احتلال الفرنسيين للإسكندرية في المحرم من تلك السنة وشرعهم في الزحف على القاهرة، فخرج إليهم بجنوده من الجراكسة وغيرهم والتقى بهم جهة الرحمانية بالبحيرة فلم تكن غير مناوشات هينة نكص فيها على عقبه إلى جهة امبابه بالشاطيء الغربى للنيل تجاه القاهرة وأخذ يتحصن بها فلحقه الفرنسيين فلم يقو على لقاءهم وانهمز هو وجنده في أقل من ساعة وفر إلى الصعيد وفر الوالى العثمانى وإبراهيم بك إلى جهة الشام وتشتت بقية الأمراء وتركوا الشياخ للذئاب. وكان أهالى القاهرة قاموا قياما محموداً أبانوا فيه عن نخوة وحمية وسخاء بالنفوس والأموال وساروا إلى بولاق بالشاطيء الشرقى لمساعدة الجنود فلما وقعت الهزيمة حوّل الفرنسيين الرمى إلى هذا الشاطيء فشتنهم ودخلوا القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من صفر.

وهذا نص ما ذكره الجبرتى عن قيام الأهالى ومسيرهم بهذا العلم إلى بولاق قبل ذلك بأسبوع أى فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٢١٣: «وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قىما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث إن جميع الناس

بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشاثر بالطبول والزموور والأعلام والكاسات وهم يضحجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة ، وصعد السيد عمر أفندي تقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيرا سمته العامة البيرق النبوي فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبايت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزموور وغير ذلك . اه .

فنا : وما زال في عوام المصريين من يعتقد بأن العلم العثماني ذا الهلال والنجم متخذ على مثال العلم النبوي ، ولهذا تضاعف تألمهم لما غير في مصر بالعلم ذى الأهلة والأنجُم الثلاثة بعد إعلان انفصالها من الدولة العثمانية إبان الحرب الكبرى الواقعة أواخر سنة ١٣٣٢ هـ ، ولعل منشأ هذا الاعتقاد ظنهم أن شارات دولة الخلافة تقتبس عادة من شارات نبويه . على أنهم في ذلك ليسوا بأوغل في الوهم من كثير من خاصة المساميين وعامتهم في عدم الهلال رمزاً دينياً له عند المساميين ما للصليب عند النصراني ، وما كان قط كذلك ، وإنما حجب إلى مسامى العصور الأخيرة وعظم لديهم لكونه شارة للعلم في آخر دولة أدركوها من دول الخلافة .

الركاب النبوي

لم نقف إلا على خبر ركابين قيل إنهما نبويان ، أحدهما كان عند علاء الدين الخلاطى ، والثانى كان عند الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي من ذرية صلاح الدين الكبير . أما الأول فذكر في ترجمة الخلاطى بالدرر الكامنة للحافظ بن حجر العسقلانى ، ونصها : « على بن محمد بن الحسن الخلاطى الحنفى علاء الدين الملقب بالقادوسى^(١) لطول تكوير عمامته ، ويعرف أيضاً بزلقان ، وكان يقال له الركابى لأنه كان يزعم أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره ، وتفقه واشتغل وتقدم ودرس بالظاهرية وولى إمامتها ، وهو أول من أمم بها ودرس بالديلمية ، وكتب على الهداية شرحاً ، وناب فى الحكم عن معز الدين نعمان بالحسينية ، ومات فى النصف من جمادى الأولى سنة ٧٠٨ » .

وأما الثانى فرأيتَه مذكوراً فى جزء عندى قديم الخط من تاريخ لبغداد لم أعرف اسمه ولا اسم مؤلفه ، جاء فيه فى حوادث سنة ٦٥٤ ما نصّه : « وفيها أرسل صلاح الدين ابن أيوب صاحب دمشق وحلب إلى الخليفة المستعصم رسولا معه فرده ركاب كبيرة من حديد قد ذكر أنها ركاب

(١) لقب بذلك لأن عمامته كانت تشبه القادوس ، وهو إناء من الفخار مستطيل أصغر من الجرة معروف بمصر يخرج به الماء فى الدوايب لسقى الأراضى .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها عند بنى أيوب يحفظونها كما يحفظ بنو العباس البردة الشريفة ، فقبلها الخليفة وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب^(١) ، فأشدد أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً :
لو كنت في زمن النبي محمد من آلِه أو كنت من أصحابه
ما رام قلبي غير ثم ركابه شرفاً وقد بلغت ثم ركابه «
اتهمى . وصالح الدين المذكور هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الكبير . كان ملكاً حلب ، ثم استولى على دمشق وأضافها إلى مملكته سنة ٦٤٨ ، وجعلها مقرّ ملكه ، وكان سمحاً جواداً حسن الأخلاق ، غير أنه لما بلغت كائنة هلاكه ببغداد وقتله للخليفة هرب من دمشق ، وكان اجتمع له فيها عساكر كثيرة تناهز المائة ألف فترك الجميع وهرب ، ثم أحسن الظن بالمغول واتصل بهم فاستصحبوه معهم ثم غدروا به وقتلوه شرقتة سنة ٦٥٨ انتهى ملخصاً من تحفة الأحباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب للصفدي ، ومن عيون التواريخ لابن شاكر .

(١) هذا من الأدلة المثبتة لبقاء القضيب والبردة عند العباسيين إلى زمن آخر خليفة منهم ببغداد .

النعل النبوية

النعل التي طُنت عند السيدة عائشة: ذكرها العلامة الأديب أحمد بن محمد المقرئ، مؤلف نفتح الطيب في كتابه فتح المتعال في مدح النعال، الذي ألفه في مثال النعل النبوية وما قيل فيها، وقد أورد لها عدة أمثلة أقواها في الصفحة مثالان: ذكر أن الأول منهما حذى على نعل نبوية كانت عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأن هذا المثال^(١) هو معتمد عدّة من الأئمة الثقات: كأبي بكر بن العربي، وابن عساكر، وابن مرزوق، والفارقي، والبلقيني، والسيحاوي، والسيوطي، وابن فهد، وغيرهم. وأتى على ما يثبت ذلك من الروايات بأسانيدها. ثم صارت هذه النعل الشريفية لإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي. وسبب ذلك على ما رواه عن الثقات أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها، ثم صارت من قبلها إلى أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكانت أم كلثوم تحمّ طلحة بن عبيد الله، فلما قتل يوم الجمل خلفه عليها عبد الله^(٢) بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي، وهو جدّ إسماعيل المذكور الذي كانت عنده النعل. ثم ذكر نعلا أخرى كانت بالمدينة،

(١) كان بعضهم يخذو على النعل الشريفية نعلا يحفظها ليحذو عليها غيره، وبعضهم يجعل المثال مخطوطاً على الورق.

(٢) ذكر المقرئ أنه رأى في بعض الروايات أن الذي خلف طلحة على أم كلثوم هو عبد الرحمن، والذي تبين له أنه ابنه عبد الله لأدلة ذكرها.

عند فاطمة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ولم يفصح عما صار إليه أمر هاتين النعلين بعد ذلك .

نعل طانت بالأشرفية برمسوس : ذكروا أنها كانت عند بني أبي الحديد يتوارثونها ، ثم صارت للملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي ، فجعلها في دار الحديث الأشرفية التي أنشأها بدمشق^(١) . وقد أشار إليها ابن كثير في البداية والنهاية ص ٦ في كلامه على النعل النبوية بقوله : « واشتهر في حدود ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له ابن أبي الحديد نعل مفردة ، ذكر أنها نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأها الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب المذكور ، فأخذها إليه وعظّمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة ، جعلها في خزانة منها ، وجعل لها خادماً ، وقرّر له من المعلوم كل شهر أربعين درهما ، وهي موجودة إلى الآن في الدار الأشرفية » .

(١) في كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال في مدارس دمشق ومساجدها لعصرينا العلامة عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الشهير بابن بدران المتوفى بدمشق في ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ أن المدرسة الأشرفية المذكورة باقية إلى اليوم في أوائل سوق العسرونية من الجانب الغربي ، وقد وصف حالتها التي هي عليها الآن وما جدد بها وذكر أنه كان يسكن بها في غرفة علوية أثناء طلبه للعلم وألف بها بعض كتبه . وفي وفيات الأعيان لابن خلسكان أن الملك الأشرف المذكور ولد سنة ٥٧٨ وأول شيء ملكه أمرها سيره إليها والده ثم ملك حران وغيرها . ولما توفى أخوه المعظم وقام بعده ولده الناصر داوود ملك الأشرف منه دمشق وجعلها مقر ملكه وبني بها دار الحديث وتوفى بها سنة ٦٣٥ وكان ملكاً حليماً كريماً الأخلاق محباً لأهل الخير والصلاح ميموناً مؤيداً في الحروب .

ونقل سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان (ج ٨ ص ٤٧١) خبر مصير هذه النعل إلى الأشرفية عن الملك الأشرف نفسه فقال فى ترجمته الواردة فى وفيات سنة ٦٣٥ ما نصه: « وكنت عنده بخلاط، فقدم علينا النظام ابن أبى الحديد ومعه نعل النبي صلى الله عليه وسلم، فعرفته بقدمه فقال يحضر، فلما دخل عليه ومعه النعل قام قائماً ونزل من الإيوان وأخذ النعل فقبلها ووضعها على عينيه وبكى، وخلع على النظام وأعطاه نفقة وأجرى عليه جراية، وقال: تكون فى الصحبة تبرك بك. وانفصلت عن خلاط، وأقام عنده، فبلغنى أنه قال: هذا النظام يطوف البلاد وما يقيم عندنا، وأنا أوثر أن يكون عندى قطعة منها، ثم بات يفكر ورجع عن ذلك الخاطر، ولما أخذ دمشق حكى لى قال: عزمت على أخذ قطعة منها، فقلت: ربما يجيء بعدى من يفعل مثل فعلى فيتسلسل الحال ويؤدى إلى استئصالها بالمرّة، فتركها وقلت من ترك شيئاً لله عوضه الله أمثاله، ثم أقام عندى النظام شهوراً، واتفق أنه مات وأوصى لى بالنعل فأخذت النعل بأسرها. ولما فتح دمشق اشترى دار قيماز النجمى وجعلها دار حديث وترك النعل فيها، ونقل إليها الكتب الثمينة، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة » اهـ. وذكر المقرئ فى فتح المتعال رجلاً اسمه أحمد من بنى أبى الحديد الذين كانوا يتوارثون هذه النعل رأى اسمه فى استجازة من الشيخ المحدث أبى عبد الله البرزالى تاريخها سنة ٦٠٩ ممنوعاً بصاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١). ثم نقل عن تاريخ البدرى فى الملك

(١) الراجح أنه الملقب بالنظام نفسه فسيأتى أن اسمه أحمد وأنه ولد سنة ٥٦٠

وتوفى سنة ٦٢٥.

الأشرف ما صورته : « وقد كان شجاعاً كريماً جواداً محباً للعلم وأهله ، لا سيما أهل الحديث ومنادمة^(١) الصالحين ، وقد بنى لهم دار الحديث بالسفح » إلى أن قال : « وجعل فيها نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي ما زال حريصاً على طلبه من النظام ابن أبي الحديد التاجر . ومن ذكره العلماء واجتمعوا به من بنى أبي الحديد أبو الحسين ابن أبي الحديد ، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وملخص ما نقله عنه المقرئ في التعريف به أنه أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم ابن الحسن بن عبد الله بن أبي الحسن أحمد بن أبي الفضل عبد الواحد ابن أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان المعروف بابن أبي الحديد السامي الخطيب كان شيخاً صالحاً سليم الجانب سديد السيرة من بيت الحديث والخطابة ، وكان جدّه الأعلى أبو الحسن ابن أبي الحديد من مشهورى الحديثين . قال ابن عساكر سمعت عنه بدمشق أجزاء ودخلت داره المليحة وقرأت عليه ، ورأيت نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه ، وكانت ولادته في جمادى الأولى سنة ٤٦٤ بدمشق ووفاته بها نهار يوم السبت مستهل جمادى الآخرة من سنة ٥٤٦ ودفن في مقابر باب الصغير . اهـ^(٢) .

(١) في نسخة : ومقارنة .

(٢) راجعنا هذه الترجمة في نسخة تاريخ ابن عساكر التي عندنا فلم نجد فيها ذكراً للنعل الشريفة والنسخة كثيرة السقط والتحريف لا يعول على ما فيها . وبها أيضاً اختلاف في نسب عبد الرحمن المذكور عما ذكره المقرئ فإنه بها (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أحمد) الخ بإسقاط القاسم وإسقاط عبد الله الذي بعد الحسن =

ونقل المقرئ أيضاً كلاماً مفصلاً مفيداً في هذه النعل عن رحلة الحافظ
الرحال أبي عبد الله محمد ابن رشيد^(١) الفهرى المغربى السبتي المالكي
المسماة: (ملء العيبة مما جمع بطول النيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة
وطيبة) يتلخص في أنه قصد زيارة هذه النعل بالمدرسة الأشرفية المذكورة
للتبرك بها والاستشفاء من مرض أصابه فوجد بركتها، ورأى بالمدرسة
يبتين بُنيا في قبالتها أحدهما عن يمين المحراب به نسخ من المصاحف،
والآخر عن يساره فيه النعل الكريمة، وهي فردة واحدة، وقد جعل
لهذا البيت باب مصفح بالنحاس الأصفر كأنه صفائح ذهب، وعلق
عليه كلال حرير ثلاث خضراء وحمراء وصفراء، ووضعت النعل الكريمة
على كرسي من آبنوس، ثم وضع على النعل لوح من آبنوس، وتقر في
وسط اللوح بمقدار ما ظهرت النعل منخفضة عن اللوح بمقدار النقر،
ولا شك أنه بقي منها تحت أطراف اللوح مقدار ما ثبت به تحت اللوح
وما أخذته المسامير التي طوقت به فإن الدائر المحيط بها كله مكوكب
بمسامير فضة ويملاً ذلك الظاهر منها الذي هو منقور عليه بأنواع الطيب

= وهو الموافق لما في نسخة مخطوطة عندنا في الإصابة للحافظ ابن حجر في ترجمة جده
الأعلى سليمان المعروف بأبي الحديد ولكن جاء في نسخة أخرى مخطوطة عندنا أيضاً في
الإصابة والنسخة المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة (عبيد الله) بدل عبد الله وليحقق
هذا النسب .

(١) هو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن رشيد مصغر رشداً كما في شرح العلامة
الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطاني وله ترجمة في الدرر الكامنة وبعية الوعاة وشذرات
الذهب وكانت ولادته سنة ٦٥٧ ووفاته بفاس سنة ٧٢١ . والدي في شرح الزرقاني على
المواهب ٧٣١ ورحلته المذكورة في ست مجلدات .

حتى إن الذي يلثمها يتمرغ فيه في طيبيها ، وقد وكل بها قيم له عليها صرة
بلغنا أنه أربعمون درهماً ناصرية ، وأمر بفتحها يوم الاثنين ويوم الخميس
للناس للتبرك بلثمها . اه .

ثم ذكر المقرئ أيضاً أن هذه النعل الشريفة كانت عند أم المؤمنين
ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها مما تركه النبي صلى الله عليه وه
فتوارثها وورثها من بعدها إلى أن وصلت إلى بنى أبي الحديد^(١) وما ز
يتوارثونها إلى آخرهم موتاً ، وأنه ترك ثلاثين ألف درهم وترك تلك النع
وولدين له فتراضيا على أن يأخذ أحدهما المال ويأخذ الآخر النعل الشري
فصار يذهب بها إلى أرض العجم ويفد على الملوك فيتبركون بها حتى رج
إلى خلاط فطلب منه الملك الأشرف بن المادل أن يقطع له منها قط
يتبرك بها ثم رجع عن ذلك إلى أن آلت إليه وجعلها في دار الحديث الذ
ابتناها بدمشق ومما أنشده للحافظ ابن رشيد الفهرى في هذه النعل
زارها بالأشرفية :

هنيئاً لعيني أن رأيت نعل أحمد فيا سمع جدتي قد ظفرت بمقصد
وقبّلتها أشفي الغليل فزادني فيا عجباً زاد الظما عند مورد
قله ذاك اللثم هو الذ من لما شفة لَمياً وخذّ مورد

(١) أول من وصلت إليه منهم جدتهم الأعلى سليمان السلمى المعروف بأبي الحديد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء في ترجمته في الإصابة للحافظ بن حجر أد
بنيه ورثوها عنه إلى أن وصلت إلى آخرهم أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٦٢٥ ثم صارت
للملك الأشرف فجعلها في الأشرفية بدمشق . قال وقد ذكرها الذهبي وغيره ويعبرون عن
بالأثر الشريف .

وَلله ذاك اليوم عيداً ومعاملاً بتاريخه أرخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيب كما يحب ويرضى ربنا بمحمد
وأنشد للإمام أبي عبد الله محمد بن جابر الوادى آتى قوله لما رآها
بِالأشرفية وقبلها :

دار الحديث الأشرفية لى الشفا فيها^(١) رأت عيناي نعل المصطفى
ولثمتها حتى قنعت وقلت يا نفسى انعمى أكذاك قالت لى كنى
لله أوقات وصلت بها المنى من بعد طيبة ما أجل وأشرفا
لك يا دمشق على البلاد فضيلة أيامك الأعياد لازمها الصفا
ولكم يحIRON جررت ولم أخف ذيلاً وبرح هوأى فيها ما اختنى
وأنشد فيها أيضاً أبيتاً دالية للإمام أبى بكر بن محرز تركنا ذكراً
لتحريف وقع بها لم نهتد لصحته .

ومن الحوادث المتعلقة بهذه النعل الشريفة ما وقع بدمشق من نائب
الشام سيف كراى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك أنه قرر على
أهل دمشق ما عجزوا عن أدائه فأغلقوا البلد لأنه أدخل فى هذه المظامة
أهل الأسواق وحواضر البلد وأملاكها وحرارتها وأمر بكتابتها ليوظف
عليها فضج الناس وشكوا إلى القضاة والخطباء والأئمة فتواعد الجميع على
الطلوع إلى النائب المذكور ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى
(أو الأخرى) من عام أحد عشر وسبعمائة أخذ الخطيب جلال الدين
القزوينى صاحب تلخيص المفتاح والإيضاح المصحف الكريم العثمانى

(١) فى نسخة (فيها) بمشاة تحية .

ونعل النبي صلى الله عليه وسلم من دار الحديث الأشرفية وأعلام الجامع التي تكون بين يدي الخطباء وخرج من باب الفرج ومعه العلماء والفقهاء والقراء والمؤذنون والأئمة وعامة الناس ، فلما وصلوا إلى النائب واستغاثوا أمر بضربهم وقال للجلال القزويني حين سلم عليه : لاسلم الله عليك ، وضرب النقباء الناس ورموا المصحف العثماني والنعل الشريف النبوية فعندها رجهم الناس وأخذوا الجلال القزويني إلى القصر وخلص العوام المصحف والنعل الشريف والأعلام ودخلوا البلد ، فاتفق بعد عشرة أيام أن عوقب سيف الدين كراي المذكور ووقيد وسجن بأمر الناصر محمد بن قلاوون وناله من الإهانة ما ناله جزاء تهاونه بالمصحف الشريف والنعل النبوية وفرّج الله عن أهل دمشق وفرحوا بالانتقام الإلهي منه .

مصدر هذه النعل مع نعل أخرى طنت معها بدمشق : قال المقرئ : « وقد

فخصت عن أمر هذه النعل الشريف في زماننا هذا فلم أجد لها عند أحد ممن سألت خبراً ، وأظن أنها ذهبت في فتنة تيمورلنك حين خرب دمشق وأحرقها سنة ثلاث وثمان مائة حسبا هو مشهور . . . وقد سئل بعضهم عن تاريخ تخريب تيمورلنك لدمشق ، فقال سنة خراب ، يعني أن لفظ خراب هو التاريخ ، وهذا نحو قوله لما سئل عنه سنة قيامه وثورته ، فقال : سنة عذاب يعني ثلاث وسبعين وسبعائة ، وهاتان توريتان عظيمتان فيهما اتفاق غريب ، يعرف ذلك كل أريب . ثم بعد كتبي لما ذكرته بمدة وقفت على نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين الحلبي رحمه الله ، فإذا فيه نحو ما ظننته مع زيادة ونصّه : (فائدة) الذي بقي من آثاره

صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة الآن فيما نعرفه كان بقي نعلان بدمشق ،
كل فردة في مكان ، واحدة بالأشرفية دار الحديث بقرب القلعة ، أنشدونا
لشيخ الإسلام شيخنا الإمام المحدث أمين الدين الأنقي المالكي^(١) :

وفي دار الحديث لطيف معني وفيها منتهى أربي وسولي
أحاديث الرسول على تنلي وتقييل لآثار الرسول
والفردة الثانية في الدماغية^(٢) المدرسة المعروفة للشافعية ، ذهبنا في
وقعة تيمورلنك لا يدري أين ذهبنا ، والله أعلم . اهـ .

قلت : الذي ذكره العلامة عبد الباسط بن موسى العموي في مختصر
تنبية الطالب وإرشاد الدارس^(٣) (ص ٧) أن تيمورلنك أخذها في تلك
الوقعة ونص ما قال في كلامه على دار الحديث الأشرفية : « وبها نعل النبي
صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند الإمام نظام الدين أبي العباس أحمد
ابن عثمان ابن أبي الحديد السلمي مولده بدمشق سنة ٥٦٠ . وكان ورثها
أى النعل دين آباءه وكان الأشرف يقربه ويحمله لأجلها ويؤمل أن يشتريها

(١) هو أمين الدين محمد بن علي بن الحسن الشهير بالأنقي بفتح الهذرة والنون
وكسر الفاء المتوفى سنة ٧٨٦ (لحظ الألفاظ لابن فهد ص ١٦٧ - ١٦٨ من مجموعة
ذيول طبقات الحفاظ وشذرات الذهب ص ٥٩٦ ج ٣)

(٢) مدرسة كانت بدمشق مشتركة بين الشافعية والحنفية أنشأتها السيدة عائشة
جدة فارس الدين ابن دماغ سنة ٦٣٨ وهى زوجة شجاع الدين محمود ابن دماغ العادلي
وقد زالت هذه المدرسة وأقيم الآن في موضعها مصنع لعمل النشا ودار للسكنى كما في
منادمة الأطلال لابن بدران .

(٣) اختصر فيه كتاب تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لما في دمشق من الجوامع
والربط والمدارس لمحي الدين عبد القادر العليمي المتوفى سنة ٩٢٧

منه ويضعها في مكان ليزار فلم يسمح بذلك ، وسمح بأن يقطع له قطعة منها فامتنع الأشرف حذراً من التطرق إلى إعدادها ، ثم أقطعه الأشرف وقدر له معلوماً فاستمر كذلك إلى أن توفي سنة ٦٢٥ فأوصى بها للأشرف فأقرها بدار الحديث الأشرفية ، ويقال إنها كانت الفردة اليسرى ، وأن الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماغية ، ولم تزال إلى زمن تيمور ، فلما دخل دمشق أخذها .

قطعة كانت عند القاضي عبد الباسط : القاضي زين الدين عبد الباسط بن

خليل بن إبراهيم (وقيل ابن يعقوب) الدمشقي ثم القاهري ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ج ٢ ص ٦٥١ ترجمة طويلة جاء فيها أنه ولد سنة ٧٨٤ بدمشق أو سنة ٧٩٠ أو التي قبلها والأوّل أشبهه وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٤ ودفن في تربته التي أنشأها بالصحراء ونال قسطاً وافراً من الواجهة والسؤدد في الدولة ، وكان حسن السياسة واسع الكرم اشترى بيت تنكز^(١) وأصلحه وأكمله وسكنه وعمر تجاهه مدرسة بديعة انتهت سنة ٨٢٣ ثم قبض عليه السلطان الملك الظاهر جقمق وأخذ منه قطعة قيل إنها من نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهين باللفظ غير

(١) كان من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون وتولى نيابة دمشق وأنشأ بها جامعاً ثم أشيع أنه يريد العبور إلى بلاد التتار فتنكّر له الناصر وقبض عليه وحمل إلى الإسكندرية فقتل بها سنة ٧٤١ ثم نقلت جثته سنة ٧٤٣ إلى دمشق ودفن بجوار جامعته بشفاعة ابنته واستولى الناصر على شيء كثير مما خلفه من المال والجواهر والثياب الطرزة وغير ذلك .

مرّة ثمّ أطلق فحجّ وزار وسافر إلى بعض البلاد وعاد إلى القاهرة
مستوطناً لها إلى أن توفّي بها .

قلنا : دار تنكز المذكورة لم تزل باقية إلى اليوم بشارع الخرنفش ، وكان
يسكنها قاضى القضاة إبراهيم ابن جماعة ثمّ ملكها القاضى عبد الباسط
المذكور وتنقلت بعده من مالك إلى آخر حتىّ اشتراها عباس باشا
الكبير قبل تولّيه على مصر فغير معالمها وجدّد بناءها على ماهى عليه
الآن وسماها بالإلهامية نسبة لولده إلهامى باشا ثمّ اشتراها خليل باشا
يكن من تركة إلهامى باشا ثمّ اشتراها منه عزيز مصر الخديو
إسماعيل وأنعم بها على السادة البكرية شيوخ مشايخ الصوفية لما أخذ
دارهم التي كانت على بركة الأربكية عند تنظيم شوارعها ، وما زالت إلى
اليوم للبكرية يسكنونها ، والمدرسة التي بناها القاضى تجاهها ذكرها
المقرئى فى الجوامع باسم الجامع الباسطى وهو باق أيضاً إلى اليوم
ويعرف بجامع القاضى عبد الباسط وجامع عباس باشا لتجديده بعض
بنائه وبه قبر الشيخ أحمد بن خليل السبكي المتوفى سنة ١٠٣٢ وكان
يتولّى الإمامة والخطابة به . وأما القطعة من النعل الشريفة فقد فصلّ
المقرئى خبرها فى تاريخه المسمى بالسلوك لمعرفة دول الملوك ونقله عنه
المقرئى بمعناه فى فتح المتعال فقال :

« ذكر المقرئى المؤرخ المصرى رحمه الله فى تاريخه المسمى بالسلوك مامعناه
أن السلطان سيف الدين جقمق لما غضب على القاضى زين الدين عبد الباسط
وأمر بجمعه فى البرج دخل عليه والى القاهرة وأمره أن يخضع جميع ما عليه

من الثياب فإنه نقل للسلطان أن معه اسم الله الأعظم ، ولذلك كان كلما تم بعقوبته صرفه الله عنه نخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ومضى بها إلى الوالى وبما فى أصابع يديه من الخواتم فوجد فى عمامته قطعة أديم ذكر لما سئل عنها أنها من نعل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم . انتهى المقصود منه . ولعلها كانت من التى بالأشرفية بالشام ، وكان لهذا القاضى الجاه العريض والتصرف فى مملكة الإسلام بمصر والشام وما يليهما فلا يبعد أن يحصل له ذلك منها أو من غيرها من النعال النبوية التى كانت يتوارثها من خصه الله بها والله أعلم » اهـ . ما ذكره المقرئ .

النعل الشريف الذى بدار الشرفاء الطاهريين بفاس : ذكر عصرينا العلامة

محمد بن جعفر بن إدريس الكتانى المتوفى سنة ١٣٤٥ فى كتابه سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (ج ١ ص ٣٤٣) فى ذكر من اشتهر من صلحاء حومة الجزيرة وما أضيف إليها دار الشرفاء الطاهريين التى بها النعل الشريف النبوية ، فأثرنا نقل كلامه بنصه وإن طال لما فيه من الفوائد التاريخية ، قال رحمه الله :

« اعلم أن من مزارات هذه الحومة دار الشرفاء الطاهريين الصقليين التى بدرب أبى بكر وهى الأولى عن يمين الداخل إليه من جهة مصمودة لأن بها الآن نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريف التى كان يلبسها فى رجله الشريف بعينها وذاتها ، وكانت قبل بدار أخرى كانت لهم بدرب الدرج من حومة درب الشيخ ، ثم نقلوها إلى هذه وهى فى ربيعة فى جوف صندوق فى مكان مرتفع فى غرفة بأعلى الدار المذكورة معظمة محترمة

وعندهم الشهادة بخطوط أئمة كبار أنها نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفي الإشراف في ترجمة الشرفاء المذكورين مانصه : وبأيدي أصحاب الترجمة
من الآثار النبوية والتمبركات المصطفوية نعل الرسول صلى الله عليه وسلم
الكريمتان اللتان كانتا بقدميه الشريفتين شاع خبرهما منذ أعوام ، ولهج
بذلك الخاص والعام قال الوالد قدّس سره في نظمه عقود الفاتحة :

ومنهم سادة أبدت صِقلية^(١) مجلّهم وغدت من بعدُ في ظلّم
وشعبة منهم للثم نعلمهم يُرى هلالُ السماء فاتحاً لقم
وفي تأليف للشيخ الإمام الأوحّد أبي مالك سيدي عبد الواحد بن محمد
الفاسي في السلالة الصقلية سماه غاية الأمنية وارتقاء الرتب العلية في ذكر
الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية السنية ، لما تعرض لذكر بني طاهر
عقب الشريف الولي الجليل الأحظي الكفيل الأثيل ذي القدر السامح
والفضل الجلي أبي العباس أحمد بن علي المتوفى سنة ثلاث وتسعين وألف
مانصه : وسيدي أحمد بن علي المذكور هو الذي كان حائزاً بداره التي بدرب
الدرج من عدوة فاس الأندلسي^(٢) للنعلمين الكريمتين اللتين لبسهما جده

(١) في معجم البلدان لياقوت : «صقلية بثلاث كميرات وتشديد اللام والياء أيضا
مشددة» انتهى فتخفف الناظم بآءها هنا للوزن .

(٢) أحد قسّمى فاس لأن الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم المولود سنة ١٧٧ والمتوفى سنة ٢١٣ لما
أراد إحداث فاس جعلها مدينتين متصلتين إحداها عدوة الأندلسيين وكان تأسيسها
سنة ١٩٢ والثانية عدوة القرويين وكان تأسيسها سنة ١٩٣ وسميت عدوة الأندلس
بمن نزلها من الأندلسيين الذين أجلاهم الحكم بن هشام عن الأندلس وسميت عدوة
القرويين لأن أول من نزل بها مع الإمام إدريس ثمانية بيوتات من أهل القيروان
بانتى مستفادا من كتاب جذوة الاقتباس ص ٩ - ٢١ ، ٩٥ - ٩٦ وغيره

مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدميه الشريفتين كما شاع خبرهما منذ أعوام ولهج بكركهما الخاص والعام، أعاد الله علينا من بركتهما آمين . وقد رأهما وتبرك بهما بالدار المذكورة جماعة من أعيان العلماء منهم الشيخ الحافظ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي وذلك سنة سبع وستين وألف هو وجماعة من الأئمة الأعيان وقبست النعل الشريفية بمثال بشهادة عدلين وكان المقيس^(١) له على الأصل الشريف الفقيه العلامة سيدي حمدون المزوار ، ونظم ذلك أبو زيد المذكور في أبيات كتبت على ذلك المثال المحذو عليه . وفي نشر الثاني في ترجمة الشيخ الفقيه البركة أبي عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن المذكور^(٢) ما نصه : ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمسة كتبها على مثال مُقاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسيني الصقليّ نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذي عنده الشهادة بخطوط أئمة أنها نعل المصطفى مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي هذه الأبيات :

(١) قوله المقيس هو بضم فكسر اسم فاعل من أقاس ، وكذلك ما جاء بعده في عبارة — نشر الثاني من قوله (مقاس) أي بصيغة اسم المفعول من أقاس أيضا وكلاهما سبق قلم لأن المعروف في اللغة قاسر واسم الفاعل منه فأس هو بضم أوله واسم المفعول مقيس بفتح فكسر وأصله مقيوس على ما هو مقرر في التصريف .

(٢) لم نثر على هذا النقل في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة ١١٣٤ في نسخة نشر الثاني المطبوعة على الحجر بفاس سنة ١٣١٠ ولا في ترجمة والده الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى سنة ١٠٩٦ ، فلعله سقط من هذه النسخة .

نعال بها إذ مُست الأرض شُرِّفت بها الأرض عن أفق السموات في الفضل
فما مثلها ذخر وهذا مثلها طباق الذي للمصطفى كان في الرجل
وعند الصقلّيين من شرفائنا بفاس وجدتها فقيست بهذا المشل
وفي السبع والستين والألف صنعه محم إتيان بشاهدي العدل^(١)
وشاهده العمراني وهو محمد وأحمد المزوارقاسه بالأصل
وفيه أيضاً مانصه : ومن خط بعض أشياخنا رحمه الله رأيت نعل
المصطفى صلى الله عليه وسلم التي بدار الشرفاء الطاهرين الحسينيين الصقلّيين
القاطنين بعدوة فاس الأندلس فتبركت بها على أعلى البدر والحمد لله
وتوسلت بها إلى الله في حوائج فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها في بعضها
وأنا أرجو الله في الباقي أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف وممن
حايها وتبرك بها من المتأخرين شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدي محمد
التاودي ابن سُودة المري ، وفي ذلك يقول :

دارٌ بمصمودة المكارم والوفا فيها رأت عيناى نعل المصطفى^(٢)
ولتمتها^(٣) حتى شبعت وقلت يا نفسى انعمى أكفالك؟ قالت لى كفى
قال فى الإشراف : ولعله تمثل بهما مع تغيير فى الشطر الأول إذ هما
من جملة أبيات للشيخ الإمام المحدث ابن جابر الوادى آشى نظمها بدار

(١) كذا ولعل الصواب (بشاهده العدل) وقد نقلنا الأبيات كما وردت ولا يخفى

ما فيها من الصرورات فى الوزن .

(٢) لعله (دار بمصمود) بخذف التاء لضرورة الوزن .

(٣) فى الأصل (ولتمته) والنعل كما لا يخفى مؤنثة .

الحديث الأشرفية في دمشق المحروسة ، وقد رأى فيها نعل النبي صلى الله عليه وسلم فقبلها وقال :

دارُ الحديث الأشرفية لى شفا فيها رأت عيناي نعل المصطفى
ولتمتها حتى قنعت وقلت يا نفسي انعمي أكفالك قالت لى كفى
لله أوقات وصلت بها المنى من بعد طيبة ما أجلّ وأشرفا
لك يا دمشق على البلاد فضيلة أيلمك الأعياد^(١) ألزمها الصّفا
ومن نسبها لابن جابر المذكور المقرئ فى أزهار الرّياض ، وزاد
فى آخرها بيتاً وهو :

ولكم بيجرون جررت ولم أخف ذيلاً وبرحُ هواى فيها ما اختفى
وقد قال الشيخ التاودى فى حاشيته على البخارىّ فى باب الشرب من
قدح النبيّ صلى الله عليه وسلم من كتاب الأشربة مانصه : وقد منّ الله
علىّ مع حقارتى وضعف تعلقى بالسنة والحديث بأنّى رأيت فرداً من
نعل النبيّ صلى الله عليه وسلم ومسحت به وجهى وعينى وذلك فى
العشرة الأخيرة من المائة الثانية عشرة ، وهذه النعل بدار الأشراف
الطاهريّين بعدوة الأندلس قرب مصمودة هناك معروف جدّم بصاحب
النعال ، وكان السلطان مولاي إسماعيل جبر على أخذها فأعطوه واحدة
وكتموا الأخرى فهذا لا يطاعون عليها أحداً ، وهى عندم فى ربيعة فى
صندوق فى مكان معظم محترم ، ورأيت حوله خطّ واحد من العلماء ممن

(١) تقدم لنا نقل هذه الأبيات عن فتح المتعال للمقرئ وبها فى هذا البيت
(لازمها) مكان ألزمها وهو أوضح معنى

أدركته لا غير وكتبت حوله فله الحمد والمنة . وقد ذكر في نشر
المثاني قضية جبر السلطان المذكور على أخذها حيث قال فيه مانصه : وفي
عام أربعة عشر ومائة وألف شدد في المفرم على أهل فاس السلطان
المنصور بالله مولانا إسماعيل ابن الشريف الحسنى فطلب أهل فاس من
الشرفاء الطاهريين أن يعطوهم النعل النبوية يستشفعون بها للسلطان
فحملها بعض الشرفاء المذكورين وساروا إلى السلطان فأحضرها بين
يديه ودفعوها له بمكناسة ، فعفا عن أهل فاس في تلك القضية ، وأخذ
السلطان النعل وأدخلها لداره بقصد التبرك وبني قبة بداره معلومة
إلى الآن تسمى قبة النعال ووضع فيها النعل في كوم^(١) . وبقيت النعل
عند السلطان مدة حياته ولا أدري ما وقع بها بعد وفاته . اه . ومن
خط بعضهم ما نصه : الحمد لله ومما وجدته مطوقاً بخدي بيت ساداتنا
الشرفاء الطاهريين الكائنة بالعدوة المجاورة لمصودة الموضوع فيها
نعل النبي صلى الله عليه وسلم :

يا بنى الزهراء يا من في الورى لهم الجاه الأعز الأشرف
دمتم في نعم لا تنقضى وسرور عنكم لا يصرف
وها هنا تنبيهات : (الأول) بحث صاحب النشر المذكور في كون

النعل المذكورة نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن الذى يغلب على
الظن أن نعاله عليه السلام قد أهلكها الدهر وطول العهد ، وبأن
المقرى في فتح المتعال ذكر في النعال روايات وأمثلة مما عند السخاوى

(١) لعله كوم من الطيب كسحوق الصندل ونحوه .

والزین العراقيّ وغيرهما ولم يعرّج علىّ مثال هذه النعل التي بيد الشرفاء المذكورين مع أنّه معاصر لها بالزمان والمكان وليست ممّا يخفى عليه ومنتهى الأمثلة التي ذكر سبعة ومثال ما عند الشرفاء المذكورين أصغر منها كلّها . ونحوه قول بعض المتأخّرين من الشرفاء القادريين أيضاً في تأليف له في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوزاني لم يصحّ استمرار طول مكث نعليه صلّى الله عليه وسلّم إلى الآن بعد المائتين وألف لأنّ الدنيا جميع ما فيها يفنى إلاّ أشياء استثنوها من ذلك ، وقد سألت عن ذلك أهل حرفة الدباغة فقالوا لي : إن كانتا من الجلد النبيء غير المدبوغ فإنه يسوس ، وإن كانتا من الجلد السبتى المدبوغ الذي ليس فيه شعر فإنه يكرف وييبس ويتمزّق ، وإن كانتا من الجلد الافرنجى العنان فإنه يكرف ويتمزّق أيضاً ولا أثر لبقاء وجودها إلى الآن ومن ادعى شيئاً من ذلك فلا يصدّقه العرف في دعواه .

قلت : وفي هذا الذي ذكره نظر .

أمّا أوّلاً فقد تقدّم أنّه شهد لهم بأنّها نعل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أئمة علماء ، ويبعد كل البعد أن يشهدوا على غير يقين أو ظنّ قريب من اليقين .

وأما ثانياً فإنّ ما استدلاًّ به على فنائهما لا ينهض ، فإنّ الله تعالى حرّم علىّ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، ولا يبعد أن ينسحب ذلك أيضاً على بعض ما حلّ بأجسادهم الكريمة من النعال وشبهها معجزة لهم . وقد وقع لمولانا إدريس الأكبر دفين زرهون أنّه ظهر جسده الشريف

بكفنه عام ثمانية عشر وسبعائة ولم تعد الأرض على شيء من الجسد ولا من الكفن المصاحب له ، وكان بين وفاته وظهور جسده على الحالة المذكورة خمسمائة سنة وأحد وأربعون سنة وثمانية أشهر .

وأما ثالثاً فإن الجلد إذا كان محفوظاً مصوناً من الماء والشمس ونحوهما لا يسرع إليه البلى بالكلية ولا يبعد بقاءه هذه المدة وأزيد منها ، وقد رأينا من الكتب المكتوبة ماله نحو من سبعائة سنة مع كون كتابته في أوراق من الكاغد ويحل بأيدي كثير من الناس وتطراً عليه أنواع من التغييرات كثيرة ، فكيف يجلد البقر أو الإبل الغليظ المصون عن الأيدي والتغيرات . وعدم ذكر المقرئ وغيره لهذه النعل لا ينفى عنها إذ لم يستوعبوا ذكر النعال التي مشى بها عليه الصلاة والسلام في عمره ، وإنما ذكروا منها ما حصلت لهم به رواية أو نقل لهم فيه أمر وما بقي أكثر مما ذكروا بكثير ، وقد عد جماعة من الأئمة وهم علماء صلحاء رؤيتهم لهذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء من أعظم نعم الله تعالى عليهم وتبركوا بها وشاهدوا بركتها ووجدوها ، وأي دليل أقوى من هذا فلا يعدل عنه إلى التجاوزات العقلية التي لا مستند لها إلا الوقوف مع العادة إن سامت .

(الثاني) ما زال الناس يتبركون بمثل النعل والقلمسوة والعكازة والسبحة ونحوها مما ترجى بركته ، فأحرى بمرات عديدة ما كان من سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ، وما زالت حوائج وآثاره عليه السلام بيد الصحابة فمن بعدهم على وجه الحفظ والأمانة والتبرك بها لا على سبيل الميراث ، وذلك معلوم عند من طالع السير والتواريخ .

(الثالث) ذكروا لمثال النعل الشريفه خواصّ عديدة ذكر بعضها في التقاط الدرر تبعاً للمقرى في فتح المتعال ، ونصه : ولصورة هذه النعل الكريمة خواصّ وبركات ، فمنها أن من وضعها على محل وجع يعنى بنية صادقة شفاه الله من حينه ، وإن أمسكها متبركا بها كانت له أماناً من نعى البغاة ، وحرزاً من الشيطان ، ومن عين كل حاسد ، وإن أمسكها صاحبة الطلق يمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها في الحين ، ومن لازم حملها كان له القبول التام ولا بد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم أو يراه مناماً ، ومن سافر به في برّ أو بحر فعرضت له آفة خوف أو هلاك نجاه الله وآمنه ، ذكر هذه الأشياء الحافظ المقرى في فتح المتعال منقولة عن الأئمة بسندها وذكر قضايا وقعت من ذلك له ولغيره فانظره .

(الرابع) كثير من الناس اليوم يتطير من رؤية هذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء ويزعمون أن من رآها مات بعد أيام يسيرة ، ويذكرون لذلك قضايا اتفافية ، ولا صحة لهذا وإنما هو من تخيلات الأوهام التي لامعول عليها ، وقد عاش أبو زيد الفاسى بعد رؤيتها قريباً من ثلاثين سنة ، والشيخ التاودى أزيد من عشرة أعوام ، نعم هذا أمر جعله الله في نفوس العامة ليصون به هذه النعل الكريمة من الابتذال والوقوع في يد من لا يرضى حاله ، والله تعالى فيما يريد حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو سبحانه والله أعلم « انتهى بنصه ، ولم نغير فيه إلا بعض أفعال ونعوت وردت مذكرة في بعض العبارات لعدم النعل من المذكرات وهى مؤنثة ، فجعلناها بالتأنيث .

نعل غير صحيحة : وهي نعل أهداها بعضهم للخليفة المهدي العباسي فظهر له أنها غير صحيحة غير أنه قبلها وأجاز مهديها سياسة منه ، ذكر ذلك ابن شاكر في ترجمته في فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٢٥ ونص عبارته: وجلس المهدي جلوساً عاماً فدخل عليه رجل ويده مندبل فيه نعل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم فلما خرج قال جلسائه: ماترون أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها، ولو كذبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوى وإن كان ظالماً، فاشترينا لسانه، وقبلنا هديته، وصدقناه قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح». انتهى^(١).

(١) هذا الفصل الخاص بالنعال النبوية وجدت أصوله بخط المؤلف المرحوم تيمور باشا

الختام

وجدت بين مخذات المؤلف أوراق شتى هي بعض المذكرات والتعليقات التي عول عليها في كتابة تلك الفصول قبل أن ينشر أكثرها في مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ ، وقد عثرنا بين هذه الأوراق بورقة كتب فيها المؤلف هذه الأسطر ، فإذا هي خير خاتمة لتلك الفصول النفيسة في الآثار النبوية :

« ليس في هذه الآثار ولا فيما أوردناه عنها من النصوص ما يبعث على الاسترابة في نسبتها إلى المقام النبويّ الكريم ، ولا يخفى أن كلّ شيءٍ محتملٍ للصحة إذا لم يلمز بظمن أو يحفّ بشبهة واستفاضت به الأخبار كان حقيقاً بأن تطمئنّ إليه النفوس وتتلقاه بالقبول ، ولا سيما إذا كان أثراً منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم لا تؤمن فيه مغيبة الشك والإنكار . ولهذا رأينا ذوى الحيطه من السلف ومن ائتم بهديهم في كل جيل يتحرجون عن المجازفة بالإنكار في مثل هذه الآثار ، ويرون السلامة في قبولها والتسليم بها ما لم ينع مانع . »

الفهرس

صفحة	
٣	كلمة اللجنة
٥	مقدمة المؤلف
٧	القضيب والبردة
٢٢	النبر والسريز والحاتم والعمامة والسيف
٢٧	الآثار النبوية في مصر
٤٩	آثار القدم الشريفة على الأحجار
٧٣	الآثار التي بالقسطنطينية
٨٢	الشعرات الشريفة
٩١	الشعرات الباقية إلى اليوم
١٠٠	العلم النبوى
١٠٧	الركاب النبوى
١٠٩	النعال النبوية
١٣٠	الحاتمة